العنوان:	مدينة البصرة بالمغرب الأقصى منذ إنشائها حتى هدمها سنة 368 هـ / 978 م: دراسة سياسية وحضارية
المصدر:	مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة - مصر
المؤلف الرئيسي:	دبور، محمد علي
المجلد/العدد:	ع91
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	مايو / شعبان
الصفحات:	667 - 745
رقم MD:	800671
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, AraBase
مواضيع:	البصرة، المقرب الأقصى، تاريخ المغرب، التاريخ الإسلامي، تدوين التاريخ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/800671

مدينة البصرة بالمغرب الأقصى منذ إنشائها
حتى هدمها سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م
دراسة سياسية وحضارية

د . محمد على دبور(*)

تقديـــم :

منذ تعلقتُ بدراسة تاريخ المغرب الإسلامي بأطواره المختلفة،وأحداثه المتلاحقة، وحضارته الشامخة كان اسم مدينة البصرة بالمغرب الأقصى أحد الأسماء التي لفتت انتباهي؛ نظرًا لتوأمته مع اسم مدينة البصرة العراقية التليدة الشهيرة، ووجدتني تحدوني رغبة جارفة لدراسة تاريخ هذه المدينة وظروفها السياسية والحضارية، خاصة وأنه لا توجد- فيما أعلم- دراسة مستقلة عن هذه المدينة الإدريسية المهمة.

ورغم أن هذه المدينة لم يعد يوجد منها الآن إلا أطلال وبقايا بعد أن اندثرت معالمها وشواهدها التاريخية، بل وطمست في الكثير من المواقع أدنى الإشارات المكانية إليها، إلا أن اسمها ما زال عالقًا بالأذهان، وتاريخها لم يمحه الزمان، والذي لم يندثر خبره لم ينته أمره، ولن يزول أبدًا مادامت هناك أسطر وكلمات تخلده في كتب التاريخ، ولا مناص من تذكره واستحضاره،خاصة إذا كانت طيات خبره تحتفظ بما يساعد على فهم الحاضر واستشراف المستقبل.

(*) أستاذ مساعد بقسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم-جامعة القاهرة والمعار- حاليًا- أستاذًا مشاركًا بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

دكتوراه من جامعة كومبلوتنسي بمدريد (إسبانيا)

Universidad Complutense de Madrid (España)

لقد كانت مدينة البصرة بالمغرب الأقصى إحدى المدن التي لعبت أدوارًا مهمة في تاريخ المغرب، عاشت فيها أجيالٌ، وتعاقبت عليها أحداثٌ، وتعددت في مساراتها الزمنية حقبٌ وعصورٌ توقف تعندها المصادر التاريخية كثيرًا، وتردد ذكرها عند أكثر من مؤرخ، مخلدًا بذلك ذكرها وما شكّله وجودها من أهمية على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو التجاري أو غير ذلك.

ولا شك أن الباحثين والمهتمين بتاريخ المدينة في المغرب الإسلامي يعرفون جيدًا الهوة الكبيرة التي تنخر جسم الكتابة التاريخية عند تناول مثل هذا الموضوع، فأول ما يصطدم به الباحث والدارس في موضوع المدن المغربية، هو قلة المصادر التاريخية، والشح الكبير في المعلومات، وفي المادة المرجعية التي تسمح بالتعرف أولاً على مكونات وعناصر ومقومات المدينة المغربية عبر مختلف مراحل تشكلها وتطورها وتفاعلها مع الأحداث التي مرت بها، هذه الأحداث التي عادةً ما نجد إسهابًا كبيرًا في التركيز على الشخوص الفاعلة فيها، دونما حديث عن مواقع حدوثها ومسارحها الميدانية، وأمكنة حدوثها، في الغالب ما يكون الخبر عنها عرضيًا، أو من باب الإشارة فقط.

إضافة إلى ذلك، فالكتابات التاريخية عند معظم مؤرخينا تكاد تكون متفرغة بشكل شبه كلي "للأفراد صانعي التاريخ، لذلك كانت كتاباتهم سجلاً منقبيًا يخلد أعمالهم، إضافة إلى ضياع معظم المصنفات المونوغرافية الخاصة بتاريخ المدن المغربية باستثناء مؤلفات تعد على رءوس الأصابع".

إن كل هذه الظروف المتعلقة بكتابة تاريخ المدن لا يجب أن يثبط همم الباحثين أو يَثني عزمهم عن خوض غمار هذه التجربة، ومحاولة لملمة ما تناثر في المصادر المختلفة- التاريخية وغير التاريخية- عن هذه المدينة للوصول إلى ملامح تاريخية محددة أو شبه كاملة لهذه المدينة سياسيًا وحضاريًا، فهي وغيرها من المدن- المندثرة وغير المندثرة- تشكل جزءًا لا يتجزأ من تاريخ المغرب الإسلامي يجعلها جديرة بالبحث والدراسة والتنقيب.

وسنحاول- من خلال صفحات هذا البحث- التعرف على هذه المدينة وموقعها وتسميتها وتأسيسها، ودورها السياسي وأهم حكامها، وكذلك ملامح من الجوانب الحضارية بها، مثل ملامحها المعمارية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك العلمية والأدبية في حدود ما يتوفر من المادة العلمية المتاحة في المصادر المختلفة.

والله المستعان،،،

تمهيد

البصرة المغربية

الموقع والنشأة:

١- الموقع وسبب التسمية:

مدينة البصرة من المدن الكبيرة والمهمة في إقليم المغرب الأقصى، وكان لاسمها وقع خاص في المصادر التاريخية والجغرافية؛ نظرًا لأهميتها السياسية والحضارية، ولما تمثله من قيمة كبيرة بين مدن هذا الإقليم، وسنحاول في السطور التالية التعرف على موقعها وأهميته، وكذلك التعرف على أسمائها المتعددة التي عُرفت بها خلال فترات تاريخية متعاقبة.

أما ما يتعلق بموقعها فالحق أن قليلاً من البلدانيين والجغرافيين مَن أمدنا بمعلومات وافية عن موقعها الجغرافي تحديدًا، ومن هؤلاء الجغرافيّ المعروف أبو إسحاق إبراهيم الاصطخريّ (ت على الأرجح حوالي سنة٣٤٦هـ/٩٥٧م)، حيث قال في (مسالك الممالك) إنها تقع: "بحذاء جبل طارق، وبينها وبين الجزيرة المذكورة (يقصد الجزيرة الخضراء[1] بالأندلس) عرض البحر اثنا

---

(١) الجزيرة الخضراء (Algeciras): مدينة مشهورة في أقصى جنوبي الأندلس بجوار جبل طارق (Gibraltar) مقابل مدينة سبتة (Cueta)، وتبعد عنه ٦ أميال، وتسمى أيضًا: جزيرة أم حكيم، وهي جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه عندما توجه لفتح الأندلس، ثم تركها فيها فنسبت إليها، وهذه المدينة تقع على ربوة مشرفة على البحر المتوسط، وتتصل أعمالها بأعمال شذونة (Medina Sidonia)، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة (Córdoba)، وهيأقرب مدن الأندلس مجازًا إلى العدوة، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٧٤٣ هـ/ ١٣٤٢ م على يد ألفونسو الحادي عشر (Alfonso XI)، واستردها المسلمون مرة أخرى سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م، وآثر الملك المريني أبو فارس عبد العزيز تدميرها حتى لا يأتيه خطر من جهتها من جانب النصارى. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني- منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- د.ت، ص ١١٧.ياقوت الحموي: معجم البلدان- دار صادر- بيروت، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م، ٢/ ١٣٦. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول(الجزء الأول)-تحقيق وترجمة: لويس مولينا-المجلس الأعلى للأبحاث العلمية-مدريد، ١٩٨٣ م، ص ٦٧-٦٨. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م، ٢/ ٥٣٩-٥٤٠. الحميري: =

عشر ميلاً"[1]، بينما يحدد ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م) مكانها فيجعلها من المدن الواقعة شرقي المحيط الأطلسي فيقول: "ثم تعطف على البحر المحيط يسارًا، وعليه من المدن قريبة منه وبعيدة: جرمانة وتارارت والحجر[2] على نحر البحر، ودونها في البر مشرقًا: الأقلام[3] ثم البصرة ثم كُرت[4]...."[5]، وذكر ياقوت الحمويّ (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م) في (معجم البلدان) أنها: "بلد

=صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب: الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر وتعليق: إ. ليفي بروفنسال - دار الجيل- بيروت - ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٧٣-٧٥.

(١) الاصطخري: مسالك الممالك- طبعة ليدن، ١٩٢٧ م، ص ٣٨.

(٢) الحجر هي مدينة حجر النسر أو قلعة حجر النسر: مدينة عظيمة محدثة في شمال المغرب على جبل عظيم شامخ لآل إدريس، وهي حصن منيع فيه أملاكهم، ليس عليها طريق ولا إليها سبيل إلا من جهة واحدة يسلكه الراجل بعد الراجل، وقد قام ببناء هذا الحصن المنيع محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م، وهي مدينة خصيبة كثيرة الخيرات، وماؤها فيها، ولها بساتين وعمارات. انظر: البكري: المغربفي ذكر إفريقية والمغرب(وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)- دار الكتاب الإسلامي-القاهرة- د.ت، ص ١١٤، ١٢٧. ابن حوقل: صورة الأرض- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٨١-٨٢. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.

(٣) الأقلام: مدينة مهمة في شمال المغرب استحدثها الأدارسة، وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة البصرة المغربية بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي، وبينها وبين البصرة أقل من مرحلة (نحو ٣٠ كلم تقريبًا)، ومؤسسها- على الراجح- هو الأمير يحيي بن إدريس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وتعدُّ من المدن الدفاعية ذات التحصينات العالية، وقد تحصن بها الأدارسة كثيرًا من هجمات أعدائهم، كما تتمتع بخصوبة التربة وكثرة المياه ووفرة المزروعات والفواكه. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١. الحموي: معجم البلدان، ١/ ٢٣٧.

(٤) مدينة كُرت: مدينة إدريسية كبيرة تقع في منطقة الغرب (ضمن البلاد الداخلية من بادية الغرب)، في أعلى جبل يحمل اسمها أو تحمل هي اسمه، وبالتحديد توجد في مقدمة جبال الريف إلى الجنوب الشرقي من موقع مدينة البصرة، وتبعد عن مدينة القنيطرة بنحو ٩٠ كلم، ومجالها يسمى المرتفعات أو الغرب الأعلى، ويحدها شمالاً مدينة وزان، وجنوبًا وادي سبو، وغربًا سوق أربعاء الغرب، وشرقًا وزان أيضًا وبعض القرى، ولها حصن مهم، وتتميز بخصوبة التربة وكثرة الخير. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١. البكري: المغرب، ص ١١١.الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١. الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول- نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد- طباعة ونشر دار الشئون الثقافية العامة- بغداد- د.ت، ص ١٨٩.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠-٨١.

في المغرب في أقصاه قرب السوس"[١]، وقال الحميريُّ (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) صاحب (الروض المعطار): "وفيما بين طنجة[٢] وفاس[٣]

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠.وانظر: ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس- تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي- دار الثقافة- بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٣٨. والسوس: إقليم واسع خصيب، يقع في جنوب مدينة مراكش، ويحده من الغرب المحيط الأطلنطي، ويتخلله واد عظيم يسمى وادي سوس، تكتنفه المزارع والأشجار والنخيل، وبه عدة مدن كبيرة، منها: تارودانت (قاعدة السوس) وتزنيت، وعلى ساحل البحر المحيط حيث مصب وادي سوس تقع أكادير، وينقسم هذا الإقليم إلى قسمين: الأول: السوس الأقصى، وهو الإقليم الواسع الذي يشمل الأطلسين الكبير والصغير، ويمتد جنوبًا حتى رمال الصحراء. والثاني: السوس الأدنى، ويقع في شمال السوس الأقصى حتى نهر أم الربيع. انظر: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا- دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٧٩ م، ص ٢٣٨، حاشية رقم ٣. د. أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس- مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ م، ص ١٤٧، حاشية رقم ٢.

(٢) طنجة (Tangér): مدينة قديمة بالمغرب الأقصى، تقع عند الطرف الغربي لمضيق جبل طارق (Gibraltar)، بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ولا يفصلها عن الشاطئ الإسباني المقابل سوى ١٨ كلم،ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى بلاد الأندلس، ثم خضعت للأدارسة، ثم للعلويين بفاس والأمويين بالأندلس، ثم سيطر عليها حكام دولة برغواطةبتامسنا (Tamisna)، وجعلوا منها ومن سبتة (Ceuta) أهم قاعدتين بحريتين لأعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة في مضيق جبل طارق، ثم استطاع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين أن يقضي على هذه الدولة البرغواطية ويحتل سبتة وطنجة، وأصبحت طنجة من أهم موانئ المغرب الإسلامي طوال العصور الإسلامية. انظر: البكري: المغرب، ص ١٠٨-١٠٩. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٤٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٢٩. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٣٨-١٣٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلامفيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام-القسم الثالث- تحقيق: د. أحمد مختار العبادي وأ. محمد إبراهيم الكتاني- نشر وتوزيع دار الكتاب- الدار البيضاء- المغرب، ١٩٦٤ م، ص ٢٠٣، حاشية رقم ١.

(٣) فاس (Fez): مدينة عظيمة تقعفي أقصى شمال شرق المملكة المغربية،ويعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي عندما قامإدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة عام ١٧٢ هـ/ ٧٨٩ م ببناء مدينة على الضفة اليمنى لنهر فاس، وقد وفدت إليها عدة أسر من القرويين ليقيموا أول الأحياء في المدينة والذي عرف باسم (عدوة القرويين)، كما وفد إليها الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة من الأندلس ليقيموا حي (عدوة الأندلسيين)،وبعد وفاة إدريس الأول بعشرين سنة أسس ابنه إدريس الثاني المدينة الثانية على الضفة اليسرى من النهر سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م، وظلت المدينة مقسمة=

من أرض المغرب مدينة يقال لها البصرة....وبين البصرة وفاس مرحلتان أو ثلاث"(١).

وأشار ابن سودة إشارة مهمة تتعلق بموقعها فقال عنها: "إحدى مدن المغرب المضمحلة التي كانت قرب مدينة القصر الكبير(٢)، أخبرني بعض

= هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيدهما وجعلهما مدينة واحدة، فصارت القاعدة الحربية الرئيسة في شمال المغرب للدول المتتالية التي حكمت المنطقة مثل الموحدين والمرينيين والسعديين،وظلت على مدار تاريخها مركزًا للإشعاع الحضاري على مر العصور. وعن تاريخ هذه المدينة راجع: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، ١٩٧٢ م، ص ٣٠-٥٠. ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر مَن حل من الأعلام مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، ١٩٧٣ م ١/ ٢٨-٣٧. الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس- تحقيق: عبد الوهاب بن منصور- المطبعة الملكية- الرباط، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، ص ١٨ وما بعدها. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٢٣٠. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٩. ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- ط ١، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م، ص ٢٩٩.

(١) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق: د. إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط٢، ١٩٨٤ م، ص ١٠٨-١٠٩.والمرحلة مسيرة يوم واحد تقريبًا، وتقدر بنحو ٦٤ كلم تقريبًا.

(٢) القصر الكبير: مدينة تقعفي الشمال الغربي للمملكة المغربية عند واد متسعغلى ضفاف نهر اللكوس الذي يحيط بها من جهتي الغرب والجنوب، متوسطة بذلك منطقة فسيحة تعرف بحوض اللكوس، ونظرًا لقربها الجغرافي من المحيط الأطلسي (٣٦ كلم)، ومن البحر الأبيض المتوسط (٣٠ كلم)، وإلى الجنوب من مدينة العرائش، حيث تبعد عنها بنحو ٢٥ كلم، فإنها تخضع لمناخ متوسطي تخترقه مؤثرات أطلسية شديد الشبه بنظيره الذي يهيمن على جهات متعددة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية، كما أنها تتوسط المراكز الحضرية الكبرى لشمال المغرب، حيث تفصلها عن طنجة ١١٩ كلم، وعن تطوان ١٣٧ كلم، وعن مكناس ١٤٠ كلم، وعن العاصمة الرباط ١٥٤ كلم، وكانت تُعرف في القديم بعدة أسماء مثل: قصر كتامة وسوق كتامي وقصر عبد الكريم. انظر: البكري: المغرب، ص ١٠٩-١١١. الحسن الوزان: وصف أفريقيا- ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ٢، ١٩٨٣ م، ١/ ٣٠٣-٣٠٥.

الأفاضل أنها كانت قرب المحل المعروف الآن بعين الجريفي، وقد ذهب أثرها اليوم وجُهل موقعها الأصلي بعدما وصلت إلى أوج الرقي"[١].

وقد أثبتت الحفريات الأثرية الحديثة أن موقعها الآن على طريق سوق أربعاء الغرب[٢] التي تبعد عنها بنحو ٢٢ كلم، في اتجاه وزّان[٣] التي تبعد عنها أيضًا بنحو ٣٣ كلم، وعلى بعد ٢٠ كلم جنوب مدينة القصر الكبير، وعلى مسافة حوالي ٤٠ كلم من ساحل المحيط الأطلسي، وبتحديد أدق: تقع في المنطقة الداخلية (منطقة الغرب حاليًّا) على بعد ٨ كلم تقريبًا من الطريق الرابط بين الرباط وطنجة في اتجاه وزّان، تحيط بها السهول، وعلى مقربة منها الأودية ومقدمة جبال **الريف**[٤]، وهناك بقايا منها تم الكشف عنها، ومكنت من التعرف على أجزاء من المدينة المندثرة تبين الأهمية التاريخية والأثرية لها.

---

(١) ابن سودة المري: دليل مؤرخ المغرب الأقصى- ضبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط ١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ص ١٤-١٥.

(٢) سوق أربعاء الغرب: مدينة تقع في الشمال الغربي للمملكة المغربية،وتبعد عن العاصمة الرباط بحوالي ١١٠ كلم، وهي ملتقى عدة طرق، حيث تربط بين شمال المغرب في اتجاه مدينة طنجة، ووسطه في اتجاه مدينة الرباط والدار البيضاء، وشرقه في اتجاه مدينة مكناس وفاس، وقد كانت فيما مضى عبارة عن بركة كبيرة من المياه تمتد لكيلو مترات، وقد تم تجفيفها واستغلالها في الزراعة.

(٣) وزان: مدينة تقع في الشمال الغربي من المغرب، في مقدمة جبال الريف جنوب وادي اللكوس، وهي عاصمة إقليم وزان (جهة طنجة- تطوان)منذ إنشائه في عام ٢٠٠٩ م، بعد أن كانت في السابق جزءًا من إقليم سيدي قاسم.

(٤) جبال الريف: هي سلسلة جبال في شمال المغرب، وتمتد بمحاذاة ساحل البحر الأبيض المتوسط على شكل قوس واسع من مضيق جبل طارق حتى نهر ملوية ويبلغ ارتفاعها ٢٤٥٦ مترًا في الوسط و١٨٠٠ متر في الشرق، ثم تضيق في الغرب قبل أن تنحدر طبقاتها نحو البحر، ويعتقد أن هذه السلسلة جزء من جبال سيرانيفادا في إسبانيا وأنهما كانتا ملتصقتين قبل أن يتكون مضيق جبل طارق، والساحل بجوار هذه الجبال صخريًّا مرتفعًا و كثير الرؤوس، وأعلى قمة جبلية في سلسلة جبال الريف هيتدغين، ويبلغ ارتفاعها ٢٤٦٥ مترًا، وحدود منطقة الريف تبتدئ من تخوم مضيق أعمدة هرقل عند طنجة وتمتد شرقًا إلى نهر النكور، أي على مسافة ١٤٠ ميلاً (٢٢١ كلم) طولاً، وتنتهي شمالاً عند البحر المتوسط في القسم الأول منه لتمتد من هناك جنوبًا على نحو ٤٠ ميلاً (٦٣ كلم) حتى الجبال المحاذية لنهر ورغة الواقعة بمنطقة فاس، ومن أهم مدنها: =

٢-تعدد أسمائها:

اسم المدينة (**البصرة**)، ولا شك أننا عند سماعه يتبادر إلى أذهاننا فورًا اسم مدينة (البصرة) العراقية المعروفة، لذا قال ياقوت الحموي عند حديثه عن (البصرة): "وهما بصرتان؛ العظمى بالعراق، والأخرى بالمغرب"[١]، لكن المصادر المغربية لم تمدنا بمعلومات حول سبب تسمية بصرة المغرب بهذا الاسم، باستثناء ما ذكره الحسن الوزان من أنها سُميت بهذا الاسم تذكيرًا بالبصرة (العراقية) التي استشهد على مقربة منها الإمام عليّ[٢] رضي الله عنه، وربما يكون هذا هو أقرب التفسيرات قبولاً حول سبب تسمية المدينة المغربية باسم "البصرة".

يضاف إلى ذلك ما ذكره ياقوت الحموي من أن بعض المغاربة ذكر أن البصرة تعني: الطين العلك، وقيل: الأرض الطيبة الحمراء[٣]، وقد أكد ابن منظور ذلك، فذكر أن اسم (البصرة) يطلق على الأرض إذا كانت حمراء طيبة[٤].

وهذا يتوافق مع ما ذكره بعض الجغرافيين من أن مدينة البصرة المغربية كانت تُعرفباسم: "الحمراء"؛ لأنها حمراء التربة[٥]، وكان عليها سور مبني بالحجارة والطوب يحمر من بعيد[٦]، وهذا أيضًا يُعدُّ تفسيرًا معقولاً حول سبب تسمية "البصرة" المغربية بهذا الاسم.

=ترغة وبادس وبليش والمزمة وغيرها. انظر: البكري: المغرب، ص ٩٠-٩١. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ١٧١، حاشية رقم ٢. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣٢٤ وما بعدها.

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٣٠.

(٢) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١٠-٣١١.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٣٠.

(٤) ابن منظور: لسان العرب- دار صادر- بيروت- د.ت، ٤/ ٦٧.

(٥) البكري: المغرب، ص ١١٠.

(٦) الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.

ومن الأسماء التي عُرفت بها أيضًا خلال تاريخها،اسم: "بصرة الذِّبَّان"[1]، أو "بصرة الألبان"[2]؛ لكثرة ألبانها، كما عُرفت كذلك باسم: "بصرة الكِتَّان"؛ لأن أهلها كانوا يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجاراتهم- أو أكثرها- بالكِتَّان[3].

ولأهمية هذه المدينة نرى الجغرافي والمؤرخ أبا عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق المعروف بالتاريخي (ت٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م) ينظمها في سلك المدن المغربية التي ألف فيها للأمويين، فقد كتب عن كثير من الحواضر

---

(١) البكري: المغرب، ص ١١٠.ورد عند الحميري: "ولكثرة ألبانها تُعرف (بقصرِ) الذبان". انظر: الروض المعطار، ص ١٠٨، حيث جاء عنده وحده كلمة (قصر) بدلاً من كلمة (بصرة) التي تكررت في المصادر الأخرى، أما بالنسبة لكلمة (الذبَّان)، فقد وردت في المصادر كلها بالذال المعجمة، ومن المعروف أن (الذِّبَّان) بكسر الذال مع تشديدها وفتح الباء مع التشديد هو الذباب، والذباب: اسم الواحد، والذِّبَّان: اسم الجماعة (انظر: الجاحظ: كتاب الحيوان- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-ط ٢، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م، ٣/ ٣١٧)، فالذِّبَّان جمع الكثرة للذباب (المعجم الوسيط-إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة- منشورات مكتبة الشروق الدولية- ط ٤، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م، مادة (ذبَّ)، ص ٣٠٨)، ولا أدري ما العلاقة بين كثرة الألبان واشتهار البصرة المغربية باسم: (بصرة الذبَّان) إلا أن يكون المقصود أن كثرة الألبان تعني كثرة الماشية المنتجة للألبان، وهذا -بالطبع- يتطلب كثرة الحظائر (ج حظيرة) التي تربى فيها الأغنام والماشية وغيرها، وهذه الحظائر تجذب الذِّبَّان وتجلبه لما يكون فيها من بول الماشية وروثها وفضلات طعامها، فضلاً عن الرائحة المنتنة التي تعدُّ عاملاً أساسيًّا في كثرة الذبَّان وتكاثره.

ولو كانت بالدال المهملة (الدِّبَّان)، فهي من الدَّبَن: وتعني: حظيرة الغنم أو الماشية كما جاء في لسان العرب لابن منظور (١٣/ ١٤٦)، وهذا يتفق مع أيضًا ما تميزت به من كثرة الألبان؛لأن هذا يعني كثرة الغنم والماشية وكل ما يُنتج لبنًا، وبهذا فإن كلمة (الدِّبَّان) تعني: كثرة الحظائر التي تربى فيها الأغنام والماشية المُدرَّة للألبان.

(٢) الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.

(٣) انظر: البكري: المغرب، ص ١١٠.ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب-تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وأ. ليفي بروفنسال- الدار العربية للكتاب - بيروت- ط ٣، ١٩٨٣م، ١/ ١٠٣.

المغربية المهمة، فألف في أخبار تاهرت، ووهران، وتَنَس، وسِجِلْمَاسَّة، ونكُّور، وكذلك عن **البصرة (المغربية)** موضوع بحثنا[(١)].

وذكر ابن سودة أن له كتابًا تحت عنوان (**أخبار مدينة البصرة**)، وذكر أنها كانت قرب مدينة القصر الكبير، وقد ذهب أثرها اليوم، وجُهل موقعها الأصلي بعدما وصلت إلى أوج الرقي[(٢)].

٣-النشأة والتأسيس:

تُجمع المصادر التاريخية على أن مدينة البصرة بالمغرب الأقصى من المدن المحدثة التي استحدثها الأدارسة، وأنها تأسست مع مدينة أصيلا[(٣)] في

(١) انظر: الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ص ٩٧، الترجمة رقم ١٦٠. الضبي: بغية الملتمسفي تاريخ رجال أهل الأندلس-تحقيق: إبراهيم الإبياري-دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت-سلسلة المكتبة الأندلسية ١٤-ط ١/ ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م، ١/ ١٨٢-١٨٣، الترجمة رقم ٣٠٥. المقري: نفح الطيبمن غصن الأندلس الرطيب-تحقيق: د. إحسان عباس-دار صادر-بيروت، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م، ٣/ ١٦٣.

(٢) ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص ١٤-١٥.

(٣) أصيلا:تقع في الشمال الغربي المغربي على ساحل المحيط الأطلسي، شمال مدينة العرائش، وجنوب مدينة طنجة، وكلمة أصيلا تعني: جيدة أو المكان الجميل، وترسم في المصادر باللام ألف في آخرها وهو الأشهر، أو بالتاء المربوطة في آخرها، وكان سبب بنائها هو حماية المنطقة الواقعة فيها من خطر المجوس (النورمان)، حيث كان وقوعها على ساحل المحيط الأطلسي يتيح الفرصة لقراصنة المجوس وغيرهم من اقتحامها وإلحاق الخراب والتدمير بنواحيها، فاتخذ الناس موضعها رباطًا يرابطون فيها دفاعًا عن المنطقة، فتوافد عليه الناس من جميع الأمصار، وكانت تقوم فيه سوق حافلة ثلاث مرات في السنة، وهو وقت اجتماعهم، وذلك في شهر رمضان، وفي عشر ذي الحجة، وفي عاشوراء، وكان الموضع ملكا لقبيلة لواتة، فابتنى فيه قوم من كتامة واتخذوه جامعًا، وتسامع الناس أمرها من الأندلس وأهل الأمصار الأخرى، فقصدوها في المواسم المذكورة بأنواع السلع المختلفة، وخيموا فيها، وتوالى البناء فيها حتى عمرت، ثم قدمها القاسم بن إدريس- كما يقول البكري- فملكها وبني سورها وقصرها، وبها قبره، فقد اهتم بها الأدارسة وجعلوها مركزًا لدولتهم في شمال المغرب إلى جانب قلعة حجر النسر، ثم وليها بعد القاسم بن إدريس ابنه إبراهيم، ثم حسين بن إبراهيم، ثم القاسم بن حسين، ثم صار أمرها إلى حسن الحجام من الأدارسة، وكان يستعمل عليها الولاة حتى استولى عليها موسى بن أبي العافية، وتعد الآن من المدن المغربية القديمة ذات الأهمية الأثرية والتاريخية. انظر: البكري: المغرب، ص ١١١-١١٢. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٢-٢٣٥. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١-٣١٢.

أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولم تذكر المصادر تاريخ هذا التأسيس على وجه التحديد، قال البكري: "ومدينة البصرة محدثة أيضًا، أُسست في الوقت الذي أُسست فيه أصيلة أو قريبًا منه"[١]، وقال ابن عذاري: "وأُسست البصرة في الوقت الذي أُسست فيه أصيلا أو قريبًا منه"[٢].

وقد أشار الحسن الوزان إشارة مهمة تتعلق بمؤسس مدينة البصرة المغربية، حيث ذكر أن مؤسسها - أو مَن بناها - هو الأمير محمد بن إدريس، وقد بناها في شمال المغرب؛ وسُميت بهذا الاسم- كما أسلفنا- تذكيرًا بالبصرة (العراقية)[٣]، وإذا صحت هذه الرواية، فمعنى ذلك أن الأمير محمد بن إدريس قد أقدم على بناء مدينة البصرة شمال المغرب الأقصى في أواخر عهد أبيه إدريس بن إدريس (إدريس الأصغر)؛ لأنها عند وفاة إدريس الأصغر سنة ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م ووصول الأمير محمد إلى سدة الحكم كانت من بين المدن أو الولايات التي قسَّمها على إخوته بإشارة جدته كنزة كما سيأتي معنا[٤].

* * *

أولاً: الحياة السياسية بمدينة البصرة المغربية:

مدينة البصرة بالمغرب الأقصى إحدى المدن التي أسسها الأدارسة كما ذكرنا، وقامت- في عهدهم- بأدوار سياسية متعددة، بل مثلت- في بعض أدوارها- الثقل السياسي لدولتهم، فكانت عاصمتهم الثانية- بعد مدينة فاس- في

(١) البكري: المغرب، ص ١١٠-١١١.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣، ٢٣٥.
(٣) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١٠-٣١١. وانظر: د. عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (المجلد الرابع: الدولة الإدريسية)- منشورات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ص ٢٢، حاشية رقم ٦، وقد كرر هذه المعلومة مرة أخرى في ص ٣٠ من الكتاب نفسه.وانظر أيضًا: محمد المختار السوسي: إيليغ قديمًا وحديثًا- هيأه للطبع وعلق عليه: محمد بن عبد الله الروداني- المطبعة الملكية بالرباط، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م، ص ٢١١.
(٤) وقد أشار مترجما كتاب وصف أفريقيا للحسن الوزان (١/ ٣١٠، حاشية رقم ١٠٢) إلى أنه من المحتمل أن يكون تأسيسها قد تم سنة ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م، وهو- في رأيي- تاريخ بعيد بعض الشيء لما ذكرناه أعلاه.

منطقة الريف بشمال المغرب، وسنحاول في السطور التالية أن نتتبع تاريخها السياسي، ونتعرف على مَن حكمها من الأدارسة ومن غيرهم حتى هدمها ومحو آثارها سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨ م.

- **البصرة المغربية تحت حكم بني القاسم بن إدريس:**

وتأتي الإشارة الأولى إلى مدينة البصرة صراحةً في المصادر التاريخية عند الحديث عن دولة محمد بن إدريس الذي خلف أباه إدريس بن إدريس بن عبد الله العلوي في حكم بلاد المغرب بعهد منه سنة ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م، وكان إدريس بن إدريس (إدريس الثاني) قد ترك اثني عشر ولدًا ذكرًا أكبرهم محمدًا المذكور، وعندما وصل إلى الحكم قام بتقسيم بلاد المغرب بينه وبين إخوته بإشارة جدته كنزة كما أشرنا، بينما بقي هو بفاس يباشر المهام السياسية كرئيس للدولة(١).

وفيما يتعلق بمدينة البصرة المغربية تتضارب المصادر تضاربًا واضحًا حول اسم مَن تولاها من إخوة محمد بن إدريس، فبعض المؤرخين يجعلها من

---

(١) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٣-١٢٤. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥١. مفاخر البربر لمؤلف مجهول- دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ٢٠٠-٢٠١. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٠٤. تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر-تحقيق: أ. خليل شحادة- مراجعة: د. سهيل ذكار-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م، ٤/ ١٩. ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ١/ ٢٠٣-٢٠٤. الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق وتعليق: أ. جعفر الناصري وأ. محمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م، ١/ ٢٢٨.الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس-حققها ووضع فهارسها: د. الشريف محمد بن حمزة على الكتاني-سلسلة الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (٤)- دون مكان للنشر- د.ت، ١/ ٨٦-٨٧. د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي- منشأة المعارف بالإسكندرية- د.ت، ٢/ ٤٥٧-٤٥٨. إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م، ١/ ٩٩. المريني العياشي: الفهرس في عمود نسب الأدارسة- مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال- طنجة- ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ١٤-١٥، ٣٠.

نصيب(يحيي بن إدريس) مع عدة مدن أخرى(١)، بينما جعلها البعض الآخر من نصيب (القاسم بن إدريس) مع عدة مدن أخرى(٢).

ونحن نرجح الرأي القائل بأنها كانت من نصيب (القاسم بن إدريس) لأربعة أسباب نذكرها فيما يلي:

السبب الأول: أن ابن عذاري المراكشي يمدنا بقائمة مهمة تضم أسماء مَن تعاقبوا على حكم مدينة البصرة بالمغرب الأقصى تحت عنوان (ذكر مَن ولي مدينة البصرة)، ثم قال: "أُسِّسَت البصرة في الوقت الذي أُسِّسَت فيه أصيلا، وعلى ثمانية أميال منها جبل يقال له صرصر، كثير المياه والثمار، يسكنه مصمودة، وأول مَن ملكها إبراهيم بن القاسم بن إدريس نحو أربعين سنة، ثم وليها ابنه عيسى بن إبراهيم، ثم أخوه أحمد بن إبراهيم، ثم برهون بن عيسى بن إبراهيم، ثم أحمد بن القاسم بن إدريس، ثم برهون بن عيسى ثانيةً، ثم سعيد غلام المظفَّر من قبل مصالة بن حبوس، ثم حسن بن محمد بن الحجَّام، ثم محمد بن يحيي بن القاسم ولد الجُوطيّ، ثم عيسى بن أحمد المعروف بأبي العيش، ثم أحمد بن القاسم ثانيةً، ثم والٍ من قبل ابن أبي العافية، ثم أبو العيش

(١) فقد ولَّى محمد بن إدريس أخاه يحيي بن إدريس مدينة البصرة ومعها مدينة أصيلا ومدينة العرائش إلى بلاد ورغة. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥١. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٠٤. ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ١/ ٢٠٣-٢٠٤. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٢٨.د. محمود إسماعيل: الأدارسة (١٧٢-٣٧٥ هـ) حقائق جديدة- مكتبة مدبولي- القاهرة- ط ١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ص ٨٠. د. سعدون عباس نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي (١٧٢-٢٢٣ هـ/ ٧٨٨-٨٣٥ م)- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت- ط ١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٠٧.

(٢) البكري: المغرب، ص ١٢٤. ابن الأبار: الحلة السيراء- حققه وعلق حواشيه: د. حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط ٢، ١٩٨٥ م، ١/ ١٣١.ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣١. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩. ابن الأثير: الكامل في التاريخ- راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق- دار الكتب العلمية- بيروت- ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ٥/ ٤٩٣. بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- الجزائر، ٢٠٠٧ م، ص ٢٢٣.

بن أحمد ثالثةً، ثم أحمد بن أبي العيش إلى سنة ٣٤٧ هـ"(١)، وكما نلاحظ فأغلبية مَن وردت أسماؤهم في القائمة المذكورة هم أبناء (القاسم بن إدريس)، ونحن لا نتصور أن يورد ابن عذاري هذه القائمة الكبيرة في كتابه بطريقة عفوية دون تثبت، خاصةً إذا علمنا أنه من المؤرخين الثقات المدققين.

السبب الثاني: أن البكري-وهو أقدم مصدر تحدث عن ولاة البصرة المغربية، وكل مَن جاءوا بعده اعتمدوا عليه- بعد أن تحدث عن جمال نساء البصرة (بالمغرب الأقصى) واختصاصهن بالحسن- ذكر أن الشاعر أبا جعفر أحمد بن فتح المعروف بابن الخرَّاز التاهرتي (ت ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م)(٢) أنشأ أبياتًا يمدح فيها والي البصرة أبا العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم(٣)، وهذا

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.

(٢) نسبه البكري إلى تاهرت. انظر: المغرب، ص ١١٠، ١١٧. وكذلك نسبه إليها ابن عذاري. انظر: البيان المغرب، ١/ ١٠٣. بينما نجد ابن الفرضي ينسبه إلى مليلة، فيقول: "أحمد بن الفتح المليليّ، يكنى أبا جعفر، ويُعْرف بابن الخرَّاز، وكان قاضيًا بمليلة"، وتوفي سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م وهو يتولى قضاءها، ومن المؤكد أن ما يقدمه ابن الفرضي مِن معلومات عن القاضي والشاعر (أحمد بن الفتح) كان بعد سقوط تاهرت- التي نسب إليها أولاً- في أيدي العبيديين سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م، حيث يقول عنه: "وكان قاضيًا بمليلة، قدم على الناصر رحمه الله قرطبة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة لما خشي مِن عساكر الشيعة، فأجاره الناصر، وسجَّل له على قضاء ناحيته، وكان عظيم القدر جليلاً، وكان نظير بكر بن حماد في الرواية والشعر وحفظ الأخبار، وتوفي بمليلة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة...". انظر: تاريخ علماء الأندلس- تحقيق: د. بشار عواد معروف- دار الغرب الإسلامي- تونس- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ١/ ١١٠-١١١، الترجمة رقم ٢٠٠. وراجع: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت- ط ٢ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ص ٥٨.

وتاهرت (المنسوب إليها): إحدى مدن المغرب الأوسط، بناها مؤسس الدولة الرستمية الإمام عبد الرحمن بن رستم في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكانت تعرف بتاهرت الجديدة أو السفلى تمييزًا لها عن تاهرت القديمة أو العليا التي كانت تبعد عنها بنحو خمسة أميال، وقد ازدهرت تاهرت الرستمية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، وصارت لها شهرة علمية واسعة النطاق لدرجة أنها سُميت بعراق المغرب؛ تشبيهًا لها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الأجناس والملل والنحل. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٦٢-٦٣، حاشية رقم ١.

(٣) البكري: المغرب، ص ١١٠. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠-٤٤١.

الوالي الممدوح من ذرية (القاسم بن إدريس)، مما يؤكد أيضًا أن البصرة المغربية كانت من نصيب (القاسم بن إدريس) وبنيه من بعده، كما ذكر في موضع آخر صراحةً أن البصرة كانت من نصيب (القاسم بن إدريس)، حيث قال عن محمد بن إدريس: "فولَّى القاسم أخاه البصرة وطنجة وما والاهما"(١)، واتفق معه ابن خلدون على ذلك فقال: "واختص القاسم بطنجة وسبتة(٢) والبصرة وما إلى ذلك من بلاد غمارة"(٣).

السبب الثالث: أن ابن حزم ذكر في جمهرته إبراهيم بن القاسم بن إدريس بن إدريس واصفًا إياه بلقب (صاحب البصرة)(٤)، مما يؤكد أنه تولاها بعد أبيه القاسم ابن إدريس.

---

(١) البكري: المغرب، ص ١٢٤.وقال ابن عذاري عن محمد بن إدريس: "فولَّى أخاه البصرة وطنجة وما يليهما" (البيان المغرب، ١/ ١٠٣)، دون أن يذكر اسم الأخ الذي حكم البصرة وطنجة، ولربما سقط من الناسخ، ولكنه في موضع آخر من كتابه ذكر أن صاحب طنجة هو القاسم بن إدريس (البيان المغرب، ١/ ٢٣٦)، مما يؤكد أيضًا أن القاسم بن إدريس هو مَن ولي أمر البصرة كذلك، حيث كانت المدينتان تحت حكم شخص واحد هو: (القاسم بن إدريس).

(٢) سبتة (Ceuta):تقعفي أقصى الشمال الغربي للمملكة المغربية، وتحتل موقعًا استراتيجيًّا بالغ الأهمية والتميز، فهي شبه جزيرة مطلة على حوض البحر الأبيض المتوسّط، وعلى بوغاز جبل طارق، يُحيط بها الماء من الجهات الثلاث: الشمالية، والشرقية، والجنوبيَّة، ولا يَفصلها عن السَّواحل الأندلسيَّة سوى (٢٦ كلم٢)، وتبلغ مساحتها (١٩ كلم٢)، وطولها من الشرق إلى الغرب (١٠٠٠ م)، ومن الشمال إلى الجنوب (١٥٠٠ م)، وتمتد مساحتها الحالية في حدود (٢٠,١٢ كلم٢)، ويبلغ محيطها (٢٨ كلم)، يشكل نحو (٢٠ كلم) من هذا المحيط شريطًا بحريًّا، والباقي (٨ كلم) يمتد غربًا عبر الشريط الأرضي المتصل بالحدود المغربية،وهذا الوضع الجغرافي جعل اتجاهها واتصالها بالأندلس قويًّا على مر العصور؛ لذا نجدها دائمًا تمتاز بالطابع الأندلسي في مظهرها وثقافاتها. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٣. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٢٨. صفة المغرب، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩.

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب- تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون-دار المعارف- القاهرة- ط ٥- د.ت، ص ٥٠.

السبب الرابع: أن ابن زيدان صاحب إتحاف أعلام الناس أكد أن البصرة كانت من نصيب القاسم بن إدريس، حيث قال- وهو يتكلم عن أصيلا: "قدم إليها القاسم بن إدريس عندما أخرجه أخوه محمد من البصرة، فنزلها وزهد في الملك، وبنى مسجدها على ضفة البحر وسورها وبنى قصرها، ثم تولاها ابنه إبراهيم..."(١).

وتجمع المصادر على أن القاسم بن إدريس- صاحب طنجة والبصرة- كان قد رفض أمر أخيه محمد- حاكم فاس وكبير إخوته- بمحاربة أخيه عيسى- صاحب أزَمُّور(٢)- الذي خرج على أخيه محمد طالبًا الأمر لنفسه، وكتب القاسم إلى أخيه محمد أبياتًا من الشعر يعتذر فيها عن تنفيذ أوامره؛ مراعاة لصلة الرحم بينه وبين إخوته، وحتى لا تبقى العداوة في عقبهم، فأنشأ يقول:

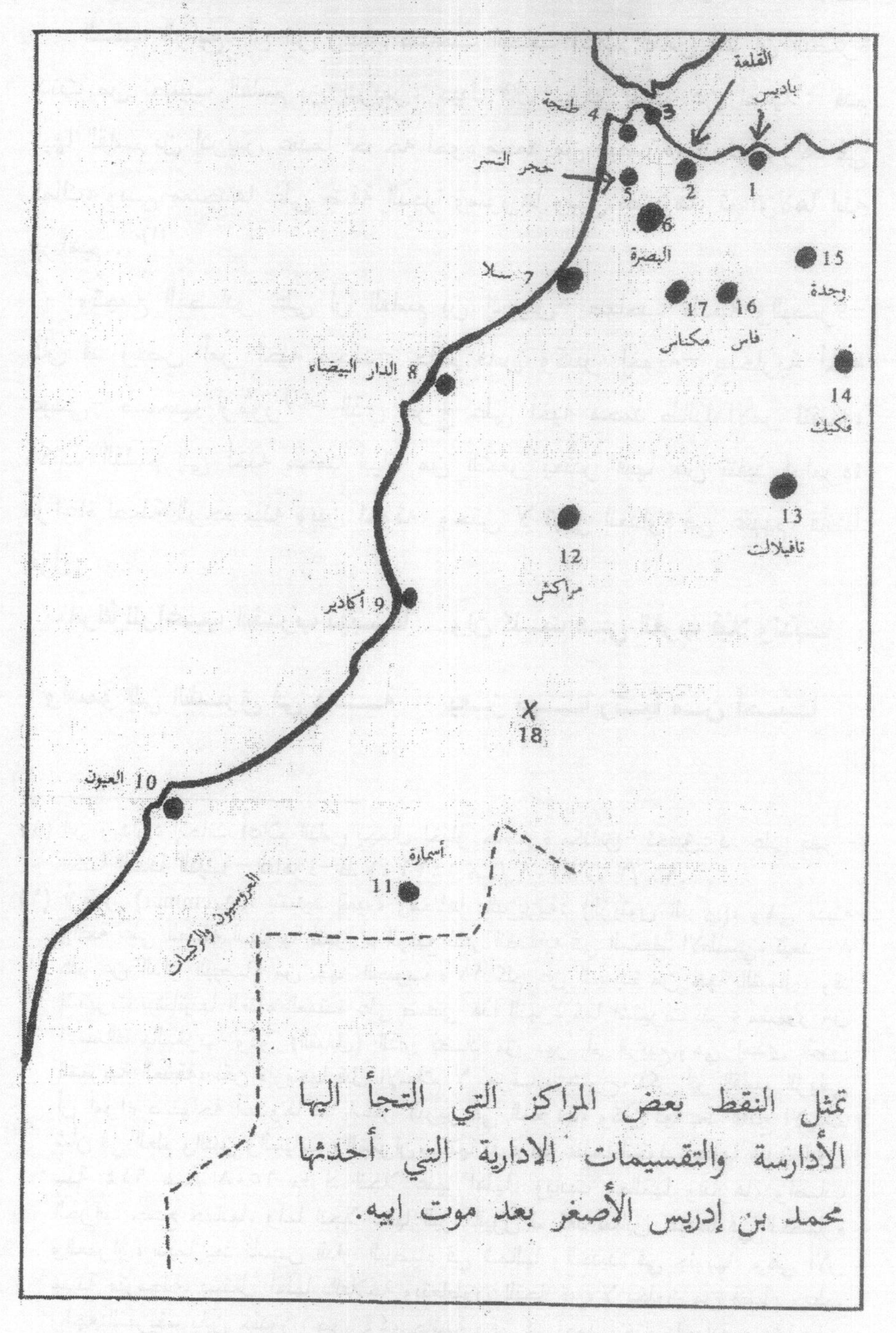
سأتركُ للراغــب الغَــرْبَ نَهْبَــا   وإن كنــتُ فــي الغَرْب قَيْلاً ونَدْبَــا

وأسمو إلى الشــرق في همــةٍ   يعــز بهـــا رُتَـبًا مَــن أحــبَّــا

---

(١) ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس- تحقيق: د. علي عمر- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، ٢/ ٩١.

(٢) أزَمُّور (Azemmur): بتشديد الميم، ومعناها بالبربرية: (الزيتون البري)، وهي مدينة واقعة على الضفة الجنوبية لنهر أم الربيع لدى انصبابه في المحيط الأطلسي، تبعد ٨٠ كلم عن الدار البيضاء من جهة الجنوب و١٧ كلم عن الجديدة من جهة الشمال، وقد اشتهرت ببساتينها الغناء الممتدة على ضفتي هذا النهر، كما اشتهرت بنوع مشهور من الأسماك بالمغرب وهو (الشابل) الذي يُصاد من نهر أم الربيع،وهي إحدى المدن المغربية العتيقة، لكن تاريخها قبل الإسلام لا يُعرف بوضوح، ذكر أبو القاسم الزياني أن أمراء صنهاجة أسسوها لما استقر البربر في المغرب، وكان لها بعد الفتح الإسلام شأن في العلم والدين والسياسة والعمران، لكنها تقهقرت عندما استولى عليها البرتغاليون سنة ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م؛ إذ انجلا عنها أهلها، وبادت معالمها وآثارها، وأصاب الخراب جميع جهاتها، ولما انجلا عنها البرتغاليون لم تعد لسابق عهدها في الحضارة والعمران، سيما بعد تأسيس الدار البيضاء في شمالها والجديدة في جنوبها، وهي الآن مدينة متوسطة، يشتغل أهلها بالفلاحة ويتعاطون التجارة، ولا يخلون من فضل وعلم. راجع:التعريف بابن خلدون، ص ٤٤، حاشية رقم ٤. أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ١٠٦. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٠٥، حاشية رقم ١.الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ٣٢، حاشية ٧٧.



تمثل النقط بعض المراكز التي التجأ اليها الأدارسة والتقسيمات الادارية التي أحدثها محمد بن إدريس الأصغر بعد موت ابيه.

نقلاً عن كتاب: الفهرس في عمود نسب الأدارسة للمريني العياشي، ص ١١

وأتــركُ عيسى عـلى رأيــه | يعالجُ في الغَـرْب هَمًّا وكَرْبَا
ولـو كـان قلبيَ عـلى قلبـه | لكنتُ لـه في القَـرابة قَلْـبَا
وإن أحـدثَ الدهرُ مـن رَيْبِه | شقـاقًا علينا وأحـدثَ حَـرْبَا
فإني أرى البُعْـدَ سِتْـرًا لـنا | يُجَـدِّدُ شَـوقًا لديـنَا وحُـبَّا
ولم نَجْـنِ قَطْـعًا لأرحامنــا | نُلاقي به آخرَ الدهـر عـتبَا
وتبـقى العداوةُ فـي عقبـنا | وأكـرم به حين نعقب عـقبَا
وأوفق من ذاك جوب الفـلاةِ | وقطعُ المَخَـارم نَقْـبًا فنَقْـبَا[1]

لكن هذه الأبيات المفعمة بمشاعر الأخوة والحرص على علاقات الود بين الإخوة لم تشفع للقاسم بن إدريس- صاحب البصرة وطنجة- وغضب محمد منه لعصيانه أوامره، وكتب إلى أخيه عمر- صاحب تيكساس[2] وغمارة[3]- يأمره بالمسير لمحاربة عيسى، فامتثل عمر لذلك ونجح في مهمته وهزم عيسى

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/ ١٣٢-١٣٣.وراجع: عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي-دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر- مكتبة المدرسة- بيروت - ط ٢، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م، ٣/ ٦٣٩-٦٤٠. المريني العياشي: الفهرس، ص ٥٧.

(٢) تيكساس: مدينة من أهم مدن غمارة الساحلية، وهي عاصمة الإقليم، تقع على ضفاف نهر صغير يبعد عن ساحل البحر المتوسط بنحو ميلين، كما تقع على بعد ٧٠ كلم شرق تطوان، وعلى بعد ١٥ كلم من ترغة شرقًا، وهي حاليًا إحدى المدن المندثرة، ولم يبق منها سوى أجزاء من السور، وخزان مياه أرضي موجود في الهضبة الشمالية، وبعض معالم الخندق الذي كان يحيط بالسور. انظر: البكري: المغرب، ص ١٠٨. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣٢. عبد العزيز توري: "المسح الأثري لحوض سبو ومنطقة غمارة"-مجلة كلية الآداب- جامعة محمد الخامس- الرباط- العدد (١١)، ١٩٨٥ م، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) غمارة: قبيلة بربرية شهيرةتنضوي تحتها قبائل كثيرة، لا يزال قسم منها معروفًا بهذا الاسم في شمال المغرب الأقصى بين قبائل صنهاجة والريف والبحر الأبيض المتوسط، وهو يشتمل على القبائل التالية: بني زيات- بني زجل- بني خالد- بني سلمان- بني بوذرة- بني منصور- بني جرير- بني رزين، وتوجد منها فروع أخرى في سائر المغرب تحمل أسماء أخرى، أو تحمل اسم غمارة ولكنها مندمجة في قبائل لا تحمل ذلك الاسم. انظر: الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ١٧، حاشية رقم ٤٤.

وطرده من أعماله، فشكره محمد على ذلك وكافأه بإضافة أعمال عيسى إلى أعماله، ثم أمره بالمسير لمحاربة أخيه القاسم- صاحب طنجة والبصرة- الذي رفض الانصياع لأوامر أخيه الأكبر محمد- صاحب فاس-فزحف عمر إلى القاسم ودارت بينهما حروب شديدة هُزم فيها القاسم، واستولى عمر على ما كان بيده من البلاد(١).

بعد هذه الهزيمة، وبعد أن سُلب منه سلطانه انكفأ القاسم بن إدريس على نفسه ومال إلى الزهد، وسار إلى ساحل البحر قرب مدينة أصيلا، فاتخذ هنالك مسجدًا لزمه للعبادة إلى أن توفي- حسب بعض الروايات- زاهدًا مُعرضًا عن الدنيا(٢)، بينما يذكر البكري أنه تزهد وبنى مسجدًا على ضفة البحر بأصيلا ولزمه دون أن يذكر وفاته على هذه الحال(٣)، وهو ما يتفق مع رواية ابن الآبار الآتية.

حيث ينفرد ابن الأبار في الحلة السيراء برواية أخرى تؤكد أن البربر رفضوا اعتزال القاسم بن إدريس للحياة السياسية، وأنهم اجتمعوا وأعادوه إلى أعماله، يقول ابن الأبار: "فتخلى القاسم عن ذلك (أي عن أعماله بعد هزيمته أمام أخيه عمر) لمحمد وعمر، وتزهَّد وبني مسجدًا على ساحل البحر بأصيلا ولزمه، فلما عاين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمرابطه فصرفوه إلى عمله، ورجع إليه كل من صدر إلى أخويه محمد وعمر"(٤).

---

(١) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٤. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٢. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٠٥-٢٠٦. تاريخ ابن خلدون(طبعة دار الفكر)، ٤/ ١٩. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٢٩. المريني العياشي: الفهرس، ص ١٧.الكتاني: سلوة الأنفاس، ١/ ٨٣.

(٢) انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٥٢. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص٢٠٦. تاريخ ابن خلدون(طبعة دار الفكر)، ٤/ ١٩. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٢٩. د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ١/ ٤٦٠.

(٣) البكري: المغرب، ص ١٢٤.وانظر: ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ٢/ ٩١.

(٤) ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/ ١٣٣.

ورواية ابن الأبار الوحيدة المذكورة آنفًا تتفق مع القائمة التي أوردها ابن عذاري- والتي ذكرناها قبل ذلك- والتي تؤكد أنه كان لأبناء القاسم بن إدريس دور سياسي فعال في أعمال أبيهم، وليس لهذا إلا تفسيرين اثنين: الأول: أن رواية ابن الأبار صحيحة رغم تفردها وأن القاسم بن إدريس عاد إلى أعماله بمساندة البربر، ثم ورثها أبناؤه من بعده كما ذكر ابن عذاري. الثاني: أن يكون محمد بن إدريس- الأخ الأكبر وصاحب فاس- قد رضي عن أبناء أخيه القاسم قبل وفاته وبعد وفاة أبيهم وأعادهم إلى ما كان بيد أبيهم من البلاد ليحكموها ويتولوا شئونها إداريًّا وسياسيًّا.

بينما أشار البعض إلى أن ما فعله الأب (القاسم بن إدريس) من تفضيل الزهد والخلوة والعبادة على الانشغال بشئون السياسة والمواجهة والتقاتل لم يمنع أبناءه من المطالبة بالخلافة والانغماس في خوض معاركها[(١)].

وهنا نأتي إلى نص ابن عذاري الخاص بمن حكموا مدينة البصرة المغربية، حيث نجده يقول: "وأول مَن ملكها إبراهيم بن القاسم بن إدريس نحو أربعين سنة"[(٢)]، ويبدو أن ابن عذاري يقصد أول مَن ملكها على سبيل الاستقلال والاستقرار دون نزاع أو شقاق، حيث لم يعتد بالفترة السابقة التي شُغلت بالصراع بين القاسم بن إدريس وإخوته كما أشرنا سابقًا.

ولا نعرف- على وجه التحديد- التاريخ الذي ملك فيه الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس مدينة البصرة، لكن ابن حزم أمدنا بإشارة مهمة ربما تساعدنا في الوصول إلى تاريخ تقريبي للفترة التي حكم فيها الأمير المذكور مدينة البصرة المغربية، وكذلك فعل ابن عذاري المراكشي، فقد أشار ابن حزم إلى العلاقة القائمة بين إبراهيم بن القاسم بن إدريس وعمر بن حفصون بالأندلس

---

(١) المريني العياشي: الفهرس، ص ١٧.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠.

فقال: "وكان عمر بن حفصون يخطب له"(١)، فقد جعل عمر بن حفصون تابعًا لإبراهيم بن القاسم، بل ويخطب باسمه على منابر عمله بالأندلس.

كذلك أشار ابن عذاري إلى هذه العلاقة فقال عن الأمير إبراهيم بن القاسم: "فجرت بينه وبين عمر بن حفصون الثائر بِبُبَشْتُرْ(٢) من الأندلس مراسلات ومكاتبات في شأن النفاق على الخليفة بقرطبة الأموي إلى أن هلك"(٣).

ومعروف تاريخيًّا أن ثورة عمر بن حفصون ضد بني أمية بالأندلس بدأت سنة ٢٦٧ هـ/ ٨٨٠ م في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (الثاني) (٢٣٨-٢٧٣ هـ/ ٨٥٢-٨٨٦ م)(٤)، واستمرت حتى وفاته سنة ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م لسبع وثلاثين سنة من ثورته(٥)، ثم أكملها أولاده من بعده حتى سنة ٣١٥ هـ/ ٩٢٧ م(٦).

---

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠.

(٢) بُبَشتر أو بُبَاشتر (Bobastro): حصن منيع يقع على قمة جبل من سلسلة الجبال الواقعة بين رندة (Ronda) ومالقة (Málaga)، وهو من أعمال ريَّه (Rayyo)، وبينه وبين قرطبة (Córdoba) ثلاثون فرسخًا، ويقع قرب مالقة جنوبي الأندلس، وله قرى كثيرة وحصون خطيرة، وما حوله كثير المياه والأشجار والثمار والكروم وشجر التين وأصناف الفواكه والزيتون، لكن فتنة ابن حفصون أتت على أكثر ذلك. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٣٣٣. العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٤٢. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٧٠. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٧.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٣.

(٤) قال ابن عذاري عن أحداث هذه السنة (٢٦٧ هـ/ ٨٨٠ م): "وفيها ابتدأ شر اللعين عمر بن حفصون الذي أعيا الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته، وعظم شره، فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رية". البيان المغرب، ٢/ ١٠٤.وانظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- القسم الثاني-دار المكشوف- بيروت- ط ٢، ١٩٥٦ م، ص ٢٢. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٤/ ١٦٨، ١٧٢-١٧٣.

(٥) انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٣٢-٣٣. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٤/ ١٧٣. بينما جعل ابن عذاري وفاته سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م.انظر: البيان المغرب، ٢/ ١٧١.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ١٩٥-١٩٧.وقال ابن خلدون عن تاريخ انتهاء هذه الثورة الطويلة: "وانقرض أمر بني حفصون، وذلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة،=

لكن ما يهمنا هنا هو شخص عمر بن حفصون المنصوص عليه في رواية ابن عذاري آنفة الذكر والذي استمر ثائرًا مدة سبع وثلاثين سنة (٢٦٧-٣٠٦ هـ/ ٨٨٠-٩١٨ م)، وبناءً على هذه المدة نرجح أن المراسلات المشار إليها كانت في بداية ثورة عمر بن حفصون سنة ٢٦٧ هـ/ ٨٨٠ م، وإذا كان الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس قد استمر في حكم مدينة البصرة أربعين سنة كما يقول ابن عذاري، فمعنى ذلك أن حكمه لها بدأ في سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١ م أو قريبًا منها، واستمر في حكمها حتى سنة ٢٦٧ هـ/ ٨٨٠ م أو السنة التي تليها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لطول الفترة الزمنية التي حكم خلالها الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس مدينة البصرة المغربية دلالاتٍ مهمةً، منها: أن المدينة نعمت بالهدوء والاستقرار خلال هذه المدة، وأنها كانت بعيدة عن الأطماع والمنازعات الداخلية التي كانت تعاني منها بعض مدن إقليم المغرب الأقصى، وأن أهميتها الاقتصادية- كما سيأتي معنا- انعكست على استقرارها السياسي.

وبعد وفاة الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس بن إدريس تولى شئون البصرة المغربية ابنه الأمير أبو العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم بن إدريس، ولم تمدنا المصادر بتاريخ وفاة إبراهيم بن القاسم، وبالتالي لم نعرف-للأسف- تاريخ وصول ابنه أبي العيش عيسى إلى سدة حكم البصرة المغربية، لكن ربما كان ذلك في السنة الثانية لثورة عمر بن حفصون، وهي سنة ٢٦٨ هـ/٨٨١م أو قريبًا منها.

والأمير أبو العيش عيسى المذكور هو ممدوح قاضي تاهرتوشاعرها أبي جعفر أحمد بن فتح المعروف بابن الخرّاز التاهرتي(ت ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م)(١)، وكان من بين أبيات مدحه- التي أوردتها المصادرُ- تغزله في جمال نساء

= والبقاء لله". تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٤/ ١٧٤. بينما جعل ابن الخطيب نهاية هذه الثورة سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م. انظر: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٣٤.

(١) سبق التعريف به.

البصرة المغربية وحسنهن الفائق، وبيان حبه لمدينة البصرة المغربية التي اتخذها وطنًا له بدلاً من مدينته الأصلية تاهرت، حيث يقول:

قَبَحَا لإلــهُ اللَّهْـوَ إلاَّ قَيْنَـةً[1] بَصْرِيَّةً في حُـمْـرَةٍ وبَيــاضِ
الخَمرُ في لَحَظَاتها والــوردُ في وَجَنَاتها والكَشْــحُ[2] غيرُ مُفَاضِ
في شكل مُرْجِيٍ ونُسْكِ مُهاجــرٍ وعفــاف سُنِّيٍّ وسَـمْتِ إبــاضِ
تاهــرت أنتِ خَـليةٌ وبــريــة عُوِّضْتُ منــكِ ببصرةٍ فاعْتَاضِ
لاعُذْرَ للحَمْرَاءِ[3] فــي كَلَفِي بهَا أو تستفيض بأبْـحُــرٍ وحِيَــاضِ
ماعُــذْرُهَا والبَحْرُ عيسى رَبُّهــا ملكُ المُلُــوك ورائضُ الرُّوَاضِ[4]

وقد استمر الأمير أبو العيش عيسى بن إبراهيم في حكم مدينة البصرة إلى أن قتله أبو العيش جنون- من بني إدريس[5].

ويبدو أن هناك مرحلتين من ولاية القضاء في حياة (أبي جعفر أحمد بن الفتح)؛ الأولى كانت في مدينة تاهرت زمن الرستميين إلى سقوطها في أيدي العبيديين سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م، لذا فقد نسبه إليها البكري[6]

---

(١) ورد هذا الشطر من البيت الأول بصيغة مختلفة عند ابن عذاري (البيان المغرب، ١/ ١٠٣)، حيث قال الشاعر المذكور:

مَا حَازَ كُلَّ الحُسْنِ إلاَّ قَيْنَةٌ بَصْرِيَّةٌ في حُمْرَةٍ وَبَيَاضِ

(٢) وردت عند ابن عذاري (البيان المغرب، ١/ ١٠٣) بلفظة: (هَيْفاءُ) بدلاً من: (والكَشْحُ).

(٣) يقصد الشاعر بالحمراء هنا مدينة البصرة المغربية، وقد كانت تُعرف بالحمراء لحمرة تربتها، وكان عليها سور مبني بالحجارة والطوب يحمرُّ من بعيد. انظر: البكري: المغرب، ص ١١٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.

(٤) البكري: المغرب، ص ١١٠. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠- ٤٤١.محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى- دار الثقافة- الدار البيضاء- ط ١، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ١/ ٢٦.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٣.

(٦) البكري: المغرب، ص ١١٠، ١١٧.

وابن عذاري[1]، والثانية كانت في مدينة مليلة وهي تحت حكم أمويي الأندلس، وظل قاضيًا بها حتى وافته منيته سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م، لذا فقد نسبه إليها ابن الفرضي[2].

وإذا كانت أبيات مدحه للأمير أبي العيش عيسى بن إبراهيم قالها وهو منسوب إلى تاهرت، فلا شك أنه قالها وهو يتولى قضاءها، أو على الأقل قالها قبل أن يتولى قضاء مليلة سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م، وبالتالي فالفترة الزمنية المتوقع أن تكون هذه الأبيات قد قيلت فيها تنحصر ما بين سقوط مدينة تاهرت سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م إلى رحيله إلى الأندلس وافدًا على عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م، فبعد أن خرَّب العبيديون تاهرت- عاصمة الرستميين- وشردوا أهلها، تفرقوا في أنحاء مختلفة[3]، وكان من بينهم قاضي تاهرت وشاعرها ابن الخرَّاز التاهرتي (أحمد بن فتح) الذي يبدو من خلال أشعاره ومديحه في أمراء الأدارسة أنه فضَّل الإقامة في مدينة البصرة المغربية واتخذها وطنًا له عوضًا عن مدينته تاهرت كما ورد في الأبيات السابقة، حيث قال:

تاهــرت أنتِ خــليةٌ وبــريــة   عُوِّضْتُ منكِ ببصرةٍ فاعْتَاضِ

وبناءً عليه، فمن المحتمل أن يكون قد أنشأ هذه الأبيات في ممدوحه الأمير أبي العيش عيسى بن إبراهيم خلال السنوات الأربع الأخيرة من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عقب انتقاله من مدينته تاهرت عاصمة الرستميين إلى

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس- تحقيق: د. بشار عواد معروف، ١/ ١١٠-١١١، الترجمة رقم ٢٠٠.

(٣) البكري: المغرب، ص٦٧-٦٨. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٥٣، ١٩٧. د. محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (١٦٠-٢٩٦ هـ)- دار القلم للنشر والتوزيع- الكويت- ط ٢ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م، ص ١٨٥-١٨٦. مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث- تقديم وتصحيح: محمد الميلي- المؤسسة الوطنية للكتاب- د.ت، ٢/ ٨٧-٨٨.

مدينة البصرة بالمغرب الأقصى التي كان يحكمها آنذاك الأمير أبو العيش عيسى بن إبراهيم، وقد ظل (أحمد بن الفتح) في كنفه حتى عنَّ له الرحيل إلى الأندلس سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦ م، وربما يكون ذلك بعد مقتل الأمير أبي العيش عيسى في السنة المذكورة.

وبعد مقتل الأمير أبي العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم بن إدريس على يد أبي العيش جنون- كما ذكرنا - تقدم أخوه الأمير أحمد بن إبراهيم بن القاسم بن إدريس الملقَّب بأبي الأذنين نحو مدينة البصرة بالمغرب الأقصى، فتزوج امرأة أخيه المقتول عيسى وحكم مدينة البصرة مكانه، ويبدو أن مدته في الحكم لم تطل كثيرًا، حيث قيل: إن زوجته سمَّتْه فقتلته(١).

وبعد مقتل أبي الأذنين الأمير أحمد بن إبراهيم بن القاسم صار أمر كُتامة والبصرة إلى أخيه الأمير يحيي بن إبراهيم بن القاسم بن إدريس المعروف بابن برهويه، لكن لم يلبث أهل كُتامة أن ثاروا ضده واختلفوا عليه، وكتبوا إلى حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس المعروف بالحَجَّام(٢) يطلبون قدومه،

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٣.

(٢) سُمِّي بذلك؛ لأنه حاربعمه أحمد بن القاسم بن إدريس، فضرب رجلاً من جنده بحربة صداف بها موضع المحجم، ثم صادف ضربة أخرى لشخص آخر في موضع المحجم أيضًا، وكذلك ثالثة، فقالعمه أحمد: "صار ابن عمي حجَّامًا، فسُمِّي بذلك، ولذا قال عنه أحد الشعراء:

وَسُمِّيتَ حَجَّامًا ولَسْتَ بحَاجِمٍ ... ولكن لضَرْبِ (الطَعْنِ) في مَكَان المَحَاجِمِ

انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٦-١٢٧. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٢. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٣. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١١-٢١٢. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٤٠. ليفي بروفنسال: نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى- مطبوعات لاروز- باريس، ١٩٤٨ م، ص ٢٦. بينما يذكر ابن حزم أن سبب تسميته بهذا الاسم هو كثرة سفكه للدماء. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠.

فاستجاب لهم، وقدم عليهم وتولى أمرهم، ولم يبق تحت حكم الأمير يحيي بن إبراهيم بن القاسم إلا مدينة البصرة المغربية[١].

لكن ابن عذاري في القائمة التي قدمها لنا عمن ولي البصرة جعل برهون بن عيسى بن إبراهيم حاكمًا على البصرة بعد مقتل عمه أحمد بن إبراهيم بن القاسم، ولم يذكر يحيي بن إبراهيم بن القاسم المعروف بابن برهويه من بين حكَّام البصرة في هذه القائمة[٢].

ثم وصل إلى حكم البصرة المغربية الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس[٣]، وهو ممدوح الشاعر المعروف أبي عبد الرحمن بكر بن حمَّاد التاهرتي (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م)[٤]، بل هو الذي استجلبه- كما يقول البكري[٥]- فخاطبه الشاعر بهذه الأبيات وهو في طريقه إلى مدينة البصرة المذكورة، فقال:

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُـــرُوءَةَ والنَّدَى جُمِعَتْ لأَحْمَدَ من بنينِ[٦] القَاسِـمِ

وإذَا تَفَاخَــرَتِ القَبَائِــلُ وانْتَمَتْ فافْخَــرْ بِفَضْــلِ مُحَمَــدِ وبِفَاطِـمِ

وبِجَعْفَرِ الطَّيَّارِ في دَرَجِ العُــلَى وعَلِيِّ العَضْبِ الحُسَــامِ الصَّــارِمِ

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٣.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.

(٣) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.

(٤) راجع عنه: البكري: المغرب، ص ٦٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٥٣-١٥٤. الدباغ وابن ناجي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان- تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور- مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس- سلسلة من تراثنا الإسلامي (٨)- د. ت، ٢/ ٢٨١-٢٨٥، الترجمة رقم ١٥٣. محمد بن رمضان شاوس: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي- المطبعة العلوية بمستغانم- الجزائر- ط ١، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م، ص ٤٣-٥٢.عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص ٥٨-٥٩.

(٥) البكري: المغرب، ص ١٣٠.

(٦) وردت عند ابن عذاري (البيان المغرب، ١/ ٢٣٦) بلفظة: (بني) لكنها لا تستقيم مع وزن البيت، فجعلها الأستاذ محمد بن تاويت (بنين) لتستقيم مع الوزن. انظر:الوافي بالأدب العربي، ١/ ٢٥.

إنِّـــي لَـــمُشْتَاقٌ إلَيْـــكَ وإنَّمَـــــا   يسْمُـــو العُقَـــابُ إذَا سَمَا بِقَـــوَادِمِ
فَابْعَثْ إلَيَّ بِمَرْكَبٍ أَسْمُـــو بِـــه   عَلِّي أَكُـــونُ عَـــلَيْكَ أَوَّلَ قَـــــادِمِ
وَاعْلَـــمْ بِأنَّكَ لَـــنْ تَنَـــالَ مَحَبَّـــةً   إلاَّ بِبَعْـــضِ مَـــلاَبِـــسٍ ودَرَاهِـــمِ[١]

ويبدو أن ذلك كان عقب تخريب العُبيديين لبلده تاهرت وتشريد أهلها في السنة نفسها التي توفي فيها الشاعر المذكور بكر بن حمَّاد، وهي سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م، فبعث إليه الأمير أحمد بن القاسم حاكم البصرة - كما يقول ابن عذاري- ببغلة سنية وصلة جزلة، وكان له فيه أمداحٌ أخرى كثيرة[٢].

وقد أشاد البكري بمكانة هذا الأمير وعلمه فقال عنه:- بعد أن تحدث عن أحمد الفاضل بن إبراهيم بن محمد وما عُرف به من العقل والحلم والعلم الواسع بالسير والتواريخ والأنساب[٣]-"ولم يكن في بني إدريس مَن شُهر بالعلم شهرته إلا أحمد الأكبر بن القاسم بن إدريس بن إدريس، وهو المعروف بالكُرْتي، كان له علم وقدر بالمغرب، وهو الذي استجلب بكر بن حمَّاد"[٤].

أما عن قول البكري عن الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس: "وهو المعروف بالكُرْتي"، فهي نسبة إلى مدينة كُرْت[٥]، وهي كانت قاعدة الأمير أحمد بن القاسم المذكور معنا[٦]، لأنه من الواضح أن كل واحد من أمراء الأدارسة لم يكن يحكم مدينة واحدة، بل كان يحكم عدة مدن- كما مر معنا في تقسيم المملكة بعد وفاة إدريس الثاني- ويتخذ إحداها قاعدة له، فكان الأمير

---

(١) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٦. محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي، ١/ ٢٥.
(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٦.
(٣) ترجم ابن أبي زرع ترجمة جيدة لأحمد الفاضل. انظر: الأنيس المطرب، ص ٨٧-٨٩. وكذلك فعل ابن القاضي. انظر: جذوة الاقتباس، ١/ ١١١-١١٢.
(٤) البكري: المغرب، ص ١٢٩-١٣٠.
(٥) سبق التعريف بها.
(٦) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٦.

أحمد بن القاسم بن إدريس يحكم مدينة البصرة المغربية من بين عدة مدن أخرى، بينما كانت مدينة كُرْت هي قاعدته أو المقر الرئيس لإقامته.

ويبدو أن السنوات الثلاث الأخيرة من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وبدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي شهدت بعض التقلبات والاضطرابات السياسية؛ إذ شهدت إزاحة الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس عن حكم مدينة البصرة المغربية وعودة الأمير برهون بن عيسى بن إبراهيم بن القاسم بن إدريس إلى حكمها للمرة الثانية طبقًا لقائمة ابن عذاري عمن ولي هذه المدينة من بني إدريس(١).

- **البصرة المغربية تحت حكم العُبيديين الشيعة:**

وفي سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١م خضعت مدينة البصرة المغربية لحكم العُبيديين الشيعة بعد سيطرة مصالة بن حبوس المكناسي(٢) قائد عُبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢ هـ/ ٩٠٩-٩٣٣م) على إقليم المغرب الأقصى في حملته الثانية(٣)، وكان

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.

(٢) مصالة بن حبوس: قائد عُبيدي من قبيلة مكناسة، وقد تولى رئاسة هذه القبيلة في النصف الثاني من المائة الثالثة للهجرة، وتغلب على قبائل البربر الأخرى وعظم أمره، ويُعَدُّ من أبرز القواد العُبيديين الذين استتب بهم الحكم العُبيدي في بلاد المغرب الأوسط، ولما خضع المغرب للعُبيديين كان مصالة من أكبر قوادهم، فولاه الخليفة عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢ هـ/ ٩٠٩-٩٣٣ م)تاهرت والمغرب الأوسط، وتميز بنشاطه العسكري الكبير في خدمة العُبيديين إلى أن قتله محمد بن خزر الزناتي سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤ م. انظر: د. عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش- دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ص ٥٦.

(٣) جعل ابن عذاري الحملة الثانية لمصالة بن حبوس على المغرب الأقصى سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م، أو في السنة التي تليها. انظر: البيان المغرب، ١/ ١٨٣، ٢١٢.أما الحملة الأولى لهذا القائدعلى المغرب الأقصى فكانت سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م، وفيها نجح في اكتساح الإقليم حتى اقترب من مدينة فاس حاضرة الأدارسة، فخرج لمواجهته أمير فاس آنذاك يحيي بن إدريس بن عمر بن إدريس الأصغر، لكنه مُني بالهزيمة، فعاد إلى فاس وتحصَّن بها، فحاصره مصالة إلى أن صالحه يحيي على مال يؤديه إليه وعلى الدعوة لعُبيد الله المهدي، فوافق مصالة على هذا وأبقاه عاملاً على فاس وأعمالها.انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٠. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، =

قد اتخذ عدة إجراءات مهمة كان من بينها أنه أقام قائده ريحان بن علي الكتامي عاملاً على فاس وأعمالها، بينما عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية المكناسي على بقية مدن المغرب الأقصى[1]، "ومحا دعوة الإدريسية من المغرب" كما قال ابن خلدون[2]، أما بالنسبة لمدينة البصرة المغربية- موضوع بحثنا- فقد أشار ابن عذاري إلى أنه عيَّن عليها واليًا من قبله، حيث ذكر في قائمة ولاة البصرة (سعيد غلام المظفر) من قبل مصالة بن حبوس[3]، وللأسف لا نعرف عن هذا الوالي شيئًا غير هذا الاسم.

ومنذ هذه اللحظة سيتكرر ذكر مدينة البصرة المغربية كثيرًا خلال الأحداث القادمة؛ لأنها ستمثل- بعد الصراع حول مدينة فاس وخروجها نهائيًّا عن أيدي الأدارسة- إحدى نقاط الارتكاز الأساسية لبقايا الأدارسة في دولتهم الثانية، بل ستكون حاضرتهم الثانية بعد مدينة فاس، والمأوى الآمن لهم حتى نهاية دولتهم وانقطاع مُلْكهم من المغرب الإسلامي كله سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥م.

- **عودة البصرة للأدارسة تحت حكم الحسن الحجَّام:**

وفي سنة ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ صارت البصرة المغربية تحت حكم الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس الثاني المعروف بالحجَّام[4]، وكان فارسًا مقدامًا شجاعًا، وقد تمكن من دخول فاس في جمع من شيعته وأنصاره، واستولى عليها

=ص ٢١٠-٢١١. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٢-٢١٣. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٣٩.

(١) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٥-١٢٦. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٠-٨١. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٢-٢١٣. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٠-٢١١.مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٢٠١. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٤/ ٥٠، ٦/ ٢٨٩. الناصري: الاستقصا، ٢٣٩-٢٤٠. د. عبد الله جمال الدين: الدولة الفاطمية، ص ٨٧. د. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- المجلد الخامس- العدد (١-٢)، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م، ص ٢٠٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٤/ ٥٠.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.

(٤) سبق لنا التعريف به وبلقبه.

ونفى عنها عاملها ريحان بن علي الكتاميّ،وفاز ببيعة أهلها، ثم وسَّع سلطانه وفرضه على قبائل البربر من لواتة وصفرونة ومديونة ومدائن مكناسة، بالإضافة إلى البصرة المغربية قاعدة الأدارسة في الشمال[١].

- **البصرة تحت حكم موسى بن أبي العافية المكناسي:**

استمرت البصرة تحت حكم الحسن الحجَّام مدة عامين، حيث لم تلبث الأحوال أن تبدلت به أثناء صراعه مع موسى بن أبي العافية المكناسي، ورغم انتصاره الكبير في بداية هذا الصراع إلا أن يد الخيانة امتدت إليه، وأوشك أن يقع في يد ابن أبي العافية إلا أنه أفلت منه، لكنه لم يلبث أن وافته منيته بعد أيام قليلة من سنة ٣١٣ هـ/ ٩٢٥م[٢].

واستولى ابن أبي العافية على فاس وكل أعمال المغرب، ودخلت مدينة البصرة المغربية تحت حكمه اعتبارًا من التاريخ المذكور آنفًا، يقول ابن الخطيب عنه: "وهو موسى بن أبي العافية....المكناسيّ، ملك بلاد تازي[٣]

(١) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٦. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٢. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١١-٢١٢. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩.الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٤٠. ليفي بروفنسال: نخب تأريخية، ص ٢٦-٢٧.

(٢) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٧. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٢-٨٣.ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث،ص ٢١٢. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٤١. ليفي بروفنسال: نخب تأريخية، ص ٢٧.

(٣) مدينة تازة أو تازا أو تازي: هكذا تكتب بهذه الصيغ الثلاث في المصادر المختلفة، ومعناها بالبربرية: الصخرة، وتقع في شرق مدينة فاس بنحو ١٢٧ كلم في منتصف الطريق المؤدي إلى وجدة،وتمتاز بموقعها الاستراتيجي المهم الذي جعلها منذ أقدم العصور مركزًا حربيًا له خطورته، وذلك لأنها تقع فوق هضبة مرتفعة بين الأطلس المتوسط وجبال الريف في ممر استراتيجي عظيم بين شرق المغرب وغربه. انظر: البكري: المغرب، ص ١١٨. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٦. التعريف بابن خلدون، ص ١٣٤، حاشية رقم ٢. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٠، حاشية رقم ٣. أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ١١٤، حاشية رقم ٢. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣٥٤.

وتسول[١]....وفاس.... وطنجة والبصرة وكثيرًا من أعمال المغرب، وبايعته القبائل والأشياخ....وملك أصيلة وشالة[٢] وغيرها من بلاد بني إدريس"[٣].

واستمر في مطاردة الأدارسة حتى ألجأهم إلى حصن لهم يعرف باسم حجر النسر[٤] سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م، وهو معقل يقع في قلب أو عار جبلية يصعب اجتيازها، بناه محمد بن إبراهيمبن محمد بن القاسم بن إدريس إلى الشمال الشرقي من مدينة القصر الكبير، وحصرهم موسى هنالك، لكنه عجز عن اقتحام الحصن، ولامه أصحابُه لمحاولة استئصال شأفتهم، فانصرف عنهم وترك على حصارهم ألف فارس بقيادة أبي الفتح التسولي لتقييد حركة الأدارسة ومنعهم من التصرف[٥].

- الأدارسة يستعيد ون البصرة والمغرب الأقصى باستثناء فاس:

سنحت الفرصة للأدارسة لاستعادة مدينة البصرة المغربية وسائر إقليم المغرب الأقصى باستثناء مدينة فاس عندما تخلى موسى بن أبي العافية في هذه

---

(١) تسول: قبيلة وبلدة بنواحي تازة كانت قاعدة للزعيم الزناتي موسى بن أبي العافية المكناسي، وهي مدينة مرتفعة. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٠، حاشية رقم ٢.

(٢) شالة: اسم حاضرة مغربية عتيقة تقع على نهر أبي رقراق غير بعيدة عن مصبه في المحيط الأطلسي حيث المدينتان التاريخيتان سلا والرباط، وكانت تحت يد القرطاجنيين ثم الرومان، ثم أسلم أهلها عند الفتح الإسلامي، وبعد عدة تقلبات افتتحها الإمام إدريس، وتداول ملكها بنوه من بعده إلى أن انتزعها منهم موسى بن أبي العافية سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م، ثم صارت عاصمة البفرنيين في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ثم خربت أثناء الصراع بين المرابطين وبرغواطة، وعلى الرغم من المحاولات المتكررة من الأسر الحاكمة لإعادة الحياة إليها إلا أن ذلك لم يجد نفعًا، وظلت علىحالها. انظر: الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص ١٣، حاشية رقم ٣٤. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٢٠٣.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٣.

(٤) سبق التعريف به

(٥) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٧-١٢٨. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٣-٨٤. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٣-٢١٤، وفيه ورد اسم قائد ابن أبي العافية (أبو قَمْح)، ولعله تصحيف.وكذلك ورد عند ليفي بروفنسال في: نخب تأريخية، ص ٢٧. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٣. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٤٢-٢٤٣.

المرحلة عن طاعة العُبيديين الشيعة ودخل في طاعة عبد الرحمن الناصر الأمويب الأندلس سنة ٣١٩ هـ/ ٩٣١م(١)، وكان هذا التحول سببًا في القضاء عليه، حيث رد العبيديون على خيانته بتوجيه حملة ضده إلى المغرب الأقصى قادها حميد بن يصليتن سنة ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م ألحقت به هزيمة كبيرة، فانتهز الأدارسة المحتجزون في حجر النسر هذه الفرصة وانقضوا على قوات ابن أبي العافية المحاصرة لهم فطردوهم ونهبوا معسكرهم، ثم انضموا إلى حملة العُبيديين الجديدة التي قادها ميسور الفتى سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م واستعادوا بمعونته- وفي ظل طاعتهم للعُبيديين- أكثر ما كان لهم في المغرب الأقصى باستثناء فاس، وكان من بين ما استعادوه مدينة البصرة المغربية، ولم يلبث موسى بن أبي العافية أن قُتل ببعض بلاد ملوية(٢).

ومنذ هذه اللحظة يتصدر للزعامة السياسية اثنان من أبناء محمد بن القاسم بن إدريس،هما الشقيقان: إبراهيم المعروف بالرَّهُوني(٣) والقاسم الملقب

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٠٤.وقد جعل ابن حيان دخول موسى بن أبي العافية في طاعة عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م. انظر: المقتبس، ٥/ ٢٦١. بينما جعله ابن أبي زرع سنة ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م. انظر: الأنيس المطرب، ص ٨٥. وراجع: د. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين، ص ٢٠٤.

(٢) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٨. ابن حيان: المقتبس-نشر: بدروشالميتا و ف. كورينطي، ومحمود صبح- منشورات المعهد العربي للثقافة بمدريد وكلية الآداب بالرباط، ١٩٧٩ م، ٥/ ٤٢٧. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٥-٨٦. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٤، ٢/ ٢٠٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٥-٢١٦. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٨٩. الناصري: الاستقصا، ١/٢٤٤-٢٤٧. بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين، ص٢٤٥-٢٤٧.

ملوية: هو أعظم نهر في أفريقيا الشمالية، ينحدر بين الأطلسين الكبير والمتوسط ويصب في البحر الأبيض المتوسط بين وجدة ومليلية، ويبلغ طوله نحو ٥٠٠ كلم، ويعتبر وادي ملوية هو الحد السياسي الفاصل بين الجزائر والمغرب، وفيه قرى كثيرة وعمائر متصلة. انظر: البكري: المغرب، ص ٨٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٥، حاشية رقم ٢. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٩٣.

(٣) البكري: المغرب، ص ١٢٩. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٠.

بكنّون(جنون)، وستكون قاعدتهم في حجر النسر أولاً[١]، ثم تنتقل إلى مدينة البصرة المغربية لتكون آخر قاعدة لهم في المغرب الأقصى.

وانفرد القاسم كنّون بالزعامة وذاع صيته إلى حدّ القول بأنه ملك كل المغرب باستثناء فاس، واتخذ من حجر النسر مقرًّا وقاعدة له[٢]، وكانت مدينة البصرة المغربية إحدى المدن والمراكز المهمة الخاضعة لسلطانه، وقد ظل متمسكًا بالدعوة للعُبيديين، مناجزًا خصومه من أنصار الأمويين إلى أن هلك بقلعته (حجر النسر) سنة ٣٣٧ هـ/ ٩٤٨ م[٣].

- البصرة المغربية حاضرة الأدارسة الأخيرة بالمغرب الأقصى:

بعد وفاة القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس الأصغر في التاريخ المذكور آنفًا تولى زعامة الأدارسة من بعده ولده أبو العيش أحمد بن القاسم كنون، وكان-كما وصفه ابن أبي زرع- عالمًا فقيهًا ديِّنًا ورعًا حافظًا للسير، عالمًا بتواريخ الملوك وأيام الناس وأنساب قبائل العرب والبربر، عاقلاً حليمًا، شجاعًا كريمًا، وكان يُعرف في بني إدريس بأحمد الفاضل[٤]،

(١) انظر: البكري: المغرب، ص ١٢٨-١٢٩. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢١٠، وقد سمَّاها (مدينة صخرة النسر). ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٨. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥١. د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ٣/ ٢١٣.

(٢) د. سعدزغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ٣/ ٢١٣.

(٣) انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٧. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٨. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩٠. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥١.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٧-٨٨. وانظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٨. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩٠. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥١.والغريب أن البكري- وهو أقدم المصادر- يجعل صاحب هذه الأوصاف والمعروف بأحمد الفاضل هو أحمد بن إبراهيم بن محمد (ابن عم أحمد بن القاسم كنون)، فقال عنه: "وكان أحمد بن إبراهيم بن محمد عالمهم، كان يحفظ السير والتواريخ، وكان نسَّابة، عاقلاً حليمًا، وكان مبجلا لعلمه، وكان يُعرف بأحمد الفاضل". انظر: المغرب، ص ١٢٩-١٣٠. وكان من البدهي أن يتبعه مَن جاءوا بعده من المؤرخين، لكنهم خالفوه، فجعلوا أحمد بن القاسم كنون هو أحمد الفاضل وليس أحمد بن إبراهيم.

وقال عنه البكري: "وكان أعلى بني محمد كلهم أيدي أبو العيش بن جنون بن محمد"[١].

ولما وصل إلى سدة الحكم بايعه كافة أهل المغرب إلى سجلماسة[٢]، "وكان له – كما يقول البكري– ما بين أجاجن[٣]– وهو بقبلي حجر النسر– إلى مدينة فاس"[٤]، "وكان أهل السواد الأعظم من أهل المغرب الأقصى لهم محبة في آل إدريس وإيثار لهم، لا يبغون بهم بدلاً مهما وجدوا إلى ذلك سبيلاً"[٥].

ومنذ هذه اللحظة سيتركز الأدارسة في مدينة البصرة المغربية ويتخذونها حاضرة لهم وقاعدة لما تبقى من سلطانهم في المغرب الأقصى تحت قيادة الأمير أبي العيش أحمد بن القاسم كنون ثم تحت إمرة أخيه الحسن بن كنون آخر أمراء الأدارسة في المغرب الأقصى، وقد أكد ابن أبي زرع على أن مدينة

---

(١) البكري: المغرب، ص ١٢٩.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩٠.وسجلماسة: مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب، وكانت تتميز بكثرة النخيل والأعناب والقصور والأبواب وغنى أهلها. انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٣١. البكري: المغرب، ص ١٤٨. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ٢٠٠-٢٠٦.

(٣) مدينة أجاجن: بفتح الهمزة أو بكسرها، كما عُرفت بصيغ كثيرة على مر التاريخ، فكانت تُكتب (أجاجن) أو (يجاجن/ يجاجين) أو (إزاجن) أو (أزجن)، وتُعرف اليوم باسم (أسجن)، وهي مدينة تقع في شمال المغرب في منطقة الريف بالقرب من مدينة وزّان بمسافة تقدر بنحو ٩ كلم بحذاء جبل (زرهونة أو رهونة) أو الجبل الأشهب إلى الجنوب الغربي في مقدمة جبال الريف، وإلى الجنوب منها قلعة حجر النسر، وفي الشرق بنو فتركان من غمارة، وبالقرب من مدينة زهجوكة، وهي على نهر عذب، وبعدها مدينة أصادة، ثم مدينة كُرت، وتنسب إلى أدارسة الريف من بني محمد الذين توارثوا حكمها في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. انظر: البكري: المغرب، ص ١١١، ١١٤، ١٢٩-١٣٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٨. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣٠٧، ٣٢٠.

(٤) البكري: المغرب، ص ١٢٩.

(٥) الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥١.

البصرة كانت تمثل قاعدة الملك الثانية للأدارسة بالمغرب الأقصى بعد مدينة فاس، فقال: "وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة"(١).

وكان الأمير أبو العيش أحمد شديد الميل إلى خلفاء بني أمية وكثير التشيع فيهم(٢)، لذا فقد حوّل ولاءه إلى خليفة الأندلس القوي آنذاك عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ/ ٩١٢-٩٦١ م)، وخطب له على جميع منابر عمله، "في مدينة بني داود والبصرة وأصيلا وطنجة وسبتة وما إلى ذلك"(٣)، ويبدو أن الأمويين كانوا زاهدين في هذا الولاء بدليل عدم قبول الناصر لهذه الطاعة ما لم يتنازل له أبو العيش أحمد عن طنجة وسبتة ليملك بيده مفتاحي الزقاق(٤).

ورغم أن أبا العيش أحمد كان قد أعلن طاعته للناصر الأموي إلا أنه كان غيورًا على استقلال بلاده(٥)؛ لذا فقد رفض طلب الناصر بالتنازل له عن طنجة وسبتة، فبعث إليه الناصر بالأسطول والجيش، وحاصره وضيق عليه، واضطر أبو العيش أحمد إلى إجابة طلبه بالتنازل له عن المدينتين(٦)، ثم ما لبث الناصر أن ملك أكثر بلاد المغرب، وبايعته قبائله من زناتة والبربر، وخُطب له على منابره من مدينة تاهرت إلى مدينة طنجة، ما عدا سجلماسة، فإنه قام بها في

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٥. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦١.بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) البكري: المغرب، ص ١٣٠. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٨. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩٠.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٨-٢١٩.

(٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٨. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٢.ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/ ٢٢٦، حاشية رقم ١ للمحقق.د. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين، ص ٢٠٧. بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٥) د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ٣/ ٢١٤.

(٦) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٨. ابن حيان: المقتبس، ٥/ ٢٨٨. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١. الناصري:الاستقصا، ١/ ٢٥٢.

ذلك الوقت منادر البربري، كما بايعه أهل فاس أيضًا فيمن بايعه من بلاد العدوة[1].

وهكذا انكمش سلطان الأدارسة واقتصر على مدينتي البصرة وأصيلا، واكتفي أبو العيش أحمد بالبصرة المغربية قاعدة له، وبقيمع إخوته وبني عمه من الأدارسة بهاتين المدينتين تحت بيعة الناصر، وفي كنفه، متمسكين بدعوته[2].

ولما رأى أبو العيش أحمد انحسار سلطانه وضعف أمره أبقى على نفسه- كما يقول ابن الخطيب[3]- وطلب من الناصر السماح له بالجواز إلى الأندلس للجهاد، فأذن له وهيأ له سبل الإكرام من لحظة نزوله أرض الأندلس حتى وصوله الثغر[4]، وبقي هنالك مجاهدًا هناك حتى استشهد سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م- حسب روايتي ابن أبي زرع وابن خلدون[5]، أو سنة ٣٤٨ هـ/ ٩٥٩م حسب رواية الناصري في الاستقصا[6]، وهي الرواية المتناسقة مع تسلسل الأحداث بعد ذلك.

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٨. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٩. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٢.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٨. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٩٤. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٢. د. عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ٤/ ٧٢.د. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية- د.ت، ص ٧٤-٧٥.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٩.

(٤) جعل البكري تاريخ تفكيره واستشارته لقاضي الجماعة محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في العبور إلى الأندلس للجهاد سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م. البكري: المغرب، ص ١٣٠.وهو تاريخ بعيد عن تسلسل الأحداث، بينما جعل ابن الخطيب قدومه إلى الأندلس مجاهدًا سنة ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢١٩.وهو تاريخ قريب من تسلسل الأحداث.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٨٩. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١.

(٦) الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٣.

- الأمير الحسن بن كنون صاحب البصرة:

عندما قرر الأمير أبو العيش أحمد العبور الى الأندلس للجهاد استخلف على ما تبقى من عمله أخاه الأمير الحسن بن كنون- آخر أمراء الأدارسة في المغرب الأقصى- الذي تمركز أيضًا في مدينة البصرة المغربية واتخذها قاعدة له، وبدأ المؤرخون في تلقيبه بلقب (صاحب البصرة)(١)، وكان متقلبًا في ولائه بين الأمويين والعبيديين حسب ما تفرضه عليه الظروف السياسية المتقلبة آنذاك؛ فعندما وصل إلى الحُكْم استمر في طاعته للأمويين ما داموا أقوياء، وعندما ضعف سلطانهم مؤقتًا نتيجة لحملة شيعية كاسحة قادها جوهر الصقلي سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨ م حوّل طاعته إلى العُبيديين(٢)، وعندما انصرف جوهر عائدًا إلى المهدية سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠ م رجعإلى طاعة الأمويين؛خوفًا منهم لا محبة فيهم لقرب بلاده منهم كما يقول ابن أبي زرع(٣).

وعندما قدم بُلُكِّين بن زيري بن مَنَاد الصنهاجي إلى المغرب الأقصى على رأس حملة جديدة كان الحسن بن كنون (صاحب البصرة) أول من سارع إلى بيعته وخلع طاعة الأمويين، فلما انصرف بُلُكِّين إلى إفريقية(تونس)(٤) بعث

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩١.ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢١. لقبه صاحب مفاخر البربر بلقب: (صاحب البصرة وأصيلا وأعمال قاصية سبتة). انظر: مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٩٨.

(٢) يذكر ابن خلدون أن الحسن بن كنون أثناء حملة جوهر على المغرب تحصَّن منه بقلعة حجر النسر، وبعث إليه بطاعته، فلم يعرض جوهر له، ورغم أن قاعدته كانت مدينة البصرة إلا أنه في حالة الطوارئ كان يلجأ لحصن حجر النسر لمنعته. انظر: تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩١.تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٢٢، ٢/ ٢٤٤-٢٤٥. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٦.

(٤) تونس (Túnez): هي عاصمة الجمهورية التونسية، وتعد إحدى أهم المدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتطل على خليج تونس من جهة الشرق حيث مرفأها التجاري المزدهر، كما تتميز بمناخها المتوسطي المعتدل وكثرة البساتين والحدائق، وهي مدينة تاريخية قديمة عمّرت من أنقاض مدينة قرطاجنة، وكان اسمها في القديم ترشيش، وكان يحيط بها سور حصين طوله ٢١ ألف ذراع ولها خمسة أبواب أهمها=

الحكم المستنصر قائده محمد بن القاسم بن طملس في جيش كثيف لقتال الحسن بن كنون سنة ٣٦٢ هـ/٩٧٢ م، ونجح الحسن بن كنون في هزيمة الجيش الأموي بفحص بني مصرخ[١] في أحواز طنجة، وسقط قائده محمد بن القاسم قتيلاً في أرض المعركة، ولجأ من بقي من الجيش إلى سبتة[٢].

عندئذٍ أرسل الحكم جيشًا آخر بقيادة مولاه غالب بن عبد الرحمن قائد الثغر الأعلى وحمّله بالأموال لشراء الأتباع، ولما علم الحسن بن كنون بقدومه خاف منه وأخلى حاضرته مدينة البصرة، وحمل منها حريمه وجميع أمواله وذخائره إلى حصن حجر النسر القريب من سبتة والواقع شمال مدينة البصرة، واتخذه معقلاً يتحصن فيه لمنعته[٣].

ومما تجد الإشارة إليه هنا أن إخلاء الحسن بن كنون لمدينة البصرة ولجوئه إلى قلعة حجر النسر للتحصن فيها يذكِّرنا بعبارة ابن حوقل عن سور مدينة البصرة، حيث قال: "عليها سور ليس بالمنيع"[٤]، وأنه كان "مبنيًا بالحجارة والطوب" حسب إشارة ابن عذاري[٥]، وهذا له دلالة من الناحيتين العسكرية

= باب الجزيرة القبلي، يخرج منه إلى القيروان ويقابله جبل التوبة، ومن أبرز معالمها جامعها التاريخي الشهير المعروف بجامع الزيتونة في قلب العاصمة، حيث يمثل جامعة دينية وعلمية في الوقت نفسه، وكانت من أبرز وأشهر المدن في إفريقية خلال العصور الإسلامية. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٦٠-٦٢. الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول، ص ١٢٠-١٢١. الإدريسي: نزهة المشتاق، ١/ ٢٨٤-٢٨٦.

(١) ورد عند ابن عذاري باسم (فحص بني مهران). البيان المغرب، ٢/ ٢٤٦.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩١. ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص ٩٦. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١. ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٥-٢٤٦. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٩٨-٩٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢١. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٢. ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص ٨٩.ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٦-٢٤٧. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢١.الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٧.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.

(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.

والدفاعية، حيث يؤكد أن المدينة لم تكن ذات طابع عسكريّ، وأن سورها لم يكن دفاعيًّا، بدليل تكرار فرار الأدارسة منها عند الخطر أو عند تعرض مدينتهم للحصار إلى أماكن أخرى أكثر حصانة للاحتماء بها، كقلعة حجر النسر وغيرها.

ويبدو أن الحسن بن كنون كان يراعي ظروف الصراع الذي يواجهه في هذه الفترة وعدم استقراره، لذا فقد جعل على مدينة البصرة صهره عليّ بن خلُّوف، حيث لقَّبه ابن عذاري بلقب (صاحب البصرة) عند فرارهما منها، فأشار إلى كتاب القائد غالب إلى الحكم المستنصر يذكر فيه "صنع الله تعالى في افتتاحه حصن الكَرْم وهرب المخذول عنه حسن بن قنون مع صهره صاحب البصرة عليّ بن خلُّوف وغيرهما"[1].

وبعد أشهر قليلة من هروب الحسن بن كنون وصهره عليّ بن خلُّوف من مدينة البصرة ثار بها أحد الأدارسة وهو محمد بن حنُّون[2] أحمد بن عيسى الحسنيّ في أوائل سنة ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م، وعيَّن عليها نائبًا له، لكن لم يلبث أهلها أن قاموا عليه وقتلوا نائبه، وخاطبوا القائد غالب بن عبد الرحمن للقدوم عليهم لتسليمه المدينة وإعلان طاعتهم للأمويين، فوصل إليهم وملك المدينة من أيديهم، وخاطب الخليفة الحكم المستنصر بخبرها، وأرسل إليه كتاب طاعة أهلها مع كتابه[3]، يقول ابن الخطيب وهو يتكلم عن الحكم المستنصر: "وفي سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) افتتح غالب مملوكه مدينة البصرة من أحواز آصيلا، وقفل إلى الحضرة، وقد استنزل ملوك الأدارسة الحسنيين"[4].

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٧.

(٢) ذكره ابن حزم باسم (محمد بن جنون بالجيم بدلاً من الحاء)، وأظنه تصحيفًا. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٧. ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص ١٤١. د. عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ٤/ ٢٤٨.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ص ٤٢.

وبذلك خضعت البصرة المغربية رسميًا لحكم الأمويين بالأندلس منذ هذا التاريخ (٣٦٣ هـ/ ٩٧٣م)، وكان القائد غالب بن عبد الرحمن قد نظم شئونها، وأحكم ضبطها، وأخذ رهائن من أهلها كدليل على حُسن الطاعة، واتفق مع شيوخها وحَمَلَة العلم فيها وأهل الرأي من أهلها على أن يخرج وفد منهم للعبور إلى الأندلس لإعلان الطاعة للخليفة الحكم المستنصر، وعندما أراد مغادرتها كتب إلى الحكم المستنصر في منتصف صفر من العام المذكور "يذكر منصرفه عن بلد البصرة وأخذ رهنهم، ويذكر أنه قد صار إلى الطاعة جميع أهل الغرب وعامة قبائل البربر، ولم يبق فيه غير الخائن حسن بن قنون، وأنه قد صار من ضيق أمره في غمَّة، ووصل أهل البصرة إلى قرطبة[(١)] الدافعين لأميرهم حسن الداخلين في الطاعة"[(٢)].

وبعد ذلك استكمل القائد غالب بن عبد الرحمن مهمته في مواجهة الحسن بن كنون، فاشتبك معه الحسن بن كنون في قصر مصمودة[(٣)] ودار القتال بينهما أيامًا، واستمال غالب الناس بالأموال فانفضوا عن ابن كنون ولم يبق معه إلا القليل من خاصته ورجاله فسار بهم إلى حجر النسر معقل الأسرة وتحصن به،

---

(١) قرطبة (Córdoba): قاعدة الأندلس وأم مدائنها، تقع على نهر الوادي الكبير (Guadalquivir) في الجزء الجنوبي من إسبانيا، وهي عاصمة مقاطعة قرطبة، يحدها من الشمال مدينة ماردة (Mérida)، ومن الجنوب مدينة قرمونة (Carmona)، ومن الغرب مدينة إشبيلية (Sevilla)، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، اشتهرت بالعمران والحضارة، وقد سقطت نهائيًا في أيدي النصارى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥ م. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٣٢٤-٣٢٥. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٢٠ وما بعدها.الإدريسي: نزهة المشتاق،٢/ ٥٧٤-٥٧٩. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٥٣-١٥٨.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٨.

(٣) قصر مصمودة: تقع مدينة قصر مصمودة على الضفة اليمنى من مصب وادي القصر بالبحر الأبيض المتوسط قبالة جزيرة طريف الأندلسية، وعلى بعد ٣٥ كلم شرق مدينة طنجة، و٢٠ كلم غرب مدينة سبتة، ويحظى بموقع ممتاز، ويتمتع بتحصينات عالية، وقد عُرف بمسميات كثيرة على مر العصور، فعُرف بالقصر الأول ربما لأقدميته، وقصر الجواز أو قصر المجاز إلى الأندلس، وعُرف فيما بعد بالقصر الصغير تمييزًا له عن القصر الكبير. انظر: البكري: المغرب، ص ١٠٥-١٠٦، ١٠٨ وما بعدها. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٢٩. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١٦.

وطارده غالب وأقام على حصاره مدة حتى اشتد الحصار على الحسن بن كنون فطلب الأمان لنفسه وأهله وأجيب إلى طلبه، وحُمل مع سبعمائة من رجاله وأهل بيته إلى قرطبة، فدخلوها في أول يوم من شهر المحرم سنة ٣٦٤هـ/٢١سبتمبر ٩٧٤م(١).

وأقام الحسن وأصحابه نحو عام في أحسن حال، ثم صودرت أمواله، وأجلاه الحكم المستنصر ومَن معه من الأدارسة إلى المرية(٢) من شرق الأندلس، ثم أخرجهم إلى تونس سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م،ليستريح من نفقاتهم، ثم توجه الحسن وبنو عمه إلى مصر، حيث نزل ضيفاً على الخليفة العبيدي العزيز بالله نزار بن معدّ (٣٦٥-٣٨٦ هـ/ ٩٧٥-٩٩٦ م)، فأكرم وفادته ووعده بالمساعدة على الثأر من الأمويين الذين غلبوه على مُلك سلفه،وأقام الحسن عنده مدة طويلة، ولم يتم الوفاء بالوعد إلا في سنة ٣٧٣هـ/٩٨٤م عندما كتب نزار بن معدّ للحسن بن كنون بعهده على المغرب الأقصى، وأمر عامله على إفريقية

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٢. ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص ١٠٨، ١٥٤. ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٨. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩١-٢٩٢. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٩٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢١-٢٢٢.الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) المرية (Almería): مدينة كبيرة من كورة إلبيرة (Elvira) من أعمال الأندلس، محدثة البناء نسبيًّا؛ إذ بناها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م، فصارت قاعدة أسطول الأندلس، وكانت من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجل أمصارها وأشهرها، تبعد عن بَجَّانة (Pechina) بنحو ١٠ كم، وكانت مجرد فرضة ومرأى ومحرس لبَجَّانة لا تقوم بها تجمعات سكانية حتى بناها الناصر فازدهرت واشتهرَت بالعديد من الصناعات المختلفة، وظلت من أهم ثغور الأندلس الجنوبية في العهد الإسلامي إلى أن سقطت في أيدي الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا سنة ٨٩٥ هـ/ فبراير سنة ١٤٩٠ م. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٨٦.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٥/ ١١٩-١٢٠. ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول، ص ٧٧. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٢-٥٦٣، ٥٦٦. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٨٣-١٨٤.

بُلُكِّين بن زيري بن مَنَاد بأن يمده بالجند، فأمده هذا الأخير بثلاثة آلاف فارس دخل بهم المغرب، وانضمت إليه قبائل عدّة[١].

واضطر المنصور بن أبي عامر حاجب الخليفة الأموي الأندلسي هشام المؤيد إلى توجيه جيش لمواجهة حملة الحسن بن كنون الإدريسي وأمّر عليه ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو[٢] بن عبد الله بن أبي عامر، المعروف بعَسْكلاجة، وأتبعه بقوة أخرى يقودها ابنه عبد الملك المظفر،وقيل: عبد الله، وهو الراجح[٣]، وأحاطت القوتان بالحسن بن كنون خارج سبته،وقيل: كان بمدينة الأقلام[٤]، فاستسلم مقابل الأمان وأن يعود إلى حاله الأولى في قرطبة، لكن المنصور بن أبي عامر لم يُمْض أمان ابن عمه الوزير أبي الحكم وأرسل إلى الحسن من قتله في الطريق سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م، وانتهى بموته سلطان الأدارسة في المغرب الأقصى[٥].

---

(١) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٣-٩٤. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩٢. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢٢-٢٢٣. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٤، ١٠٨. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ورد عند ابن أبي زرع في الأنيس المطرب (ص ٩٤) باسم (عُمَر) بدلاً من (عَمْرو)، وكذلك عند ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢٣.

(٣) انظر: مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٩. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦٠، حاشية رقم ١.

(٤) حيث صعد إليها – بعد أن انفض أتباعه عنه – ودعا إلى نفسه مرة أخرى، فالتف أهل الفساد به. انظر: مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٩.

(٥) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٤. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٩٢-٢٩٣. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢٣-٢٢٤. ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/ ٢٢٧. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٩-١١٠. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٥٩-٢٦٠.د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي–دار الجيل ببيروت ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة- ط ١٤، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م، ٣/ ١٧٤.

وكان سلطان الأدارسة إذا اشتد وقوي امتد إلى تلمسان(١)، وإذا ضعف وتراجع لم يجاوز البصرة وأصيلا وحجر النسر(٢).

- **هدم مدينة البصرة المغربية ومحو أثرها:**

منذ استسلام الحسن بن كنون للأمويين وعبوره إلى الأندلس مع رجاله وأهل بيته سنة ٣٦٤ هـ/٩٧٤مخضع المغرب الأقصى كله لسلطان أمويي الأندلس، وفرقوا العمال في نواحيه، وظلت مدينة البصرة المغربية تحت حكمهم يولون عليها واليًا من قبلهم،ثم ما لبث الحكم المستنصر أن أعطى المغرب كله لجعفر بن عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسي وأخيه يحيي مكافأة لهما على قتلهما لعدوه زيري بن مَنَاد الصنهاجي عامل الخليفة العُبيدي معدّ بن إسماعيل على تاهرت سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م، حيث كانا قد تقربا بهذا العمل إلى الحكم المستنصر، وعبرا إلى الأندلس "مُهديَيْن رأس زيري، خالعَيْن للدعوة الشيعية، متقلِّدَيْن للدعوة الأموية الجماعية، فكان لهما في ذلك قبول ورفعة عظيمة من الخليفة"(٣).

---

(١) تلمسان (Tremecén): مدينة مشهورة بغرب المغرب الأوسط (الجزائر) في عمالة وهران، وتبعد ١٣٨ كلم عن مرسى وهران جنوبًا، و٨٠ كلم عن وجدة شرقًا، وتقع في السفح الشمالي للجبل المنسوب إليها على ارتفاع ٨٠٠ م فوق سطح البحر الأبيض، وتنطق بكسرتين وسكون الميم، وبعضهم يقول: تلمسين أو تلمسان بكسر التاء وسكون اللام وفتح الميم، وقد تداول على حكمها أسر كثيرة، وازدهرت وتألقت حضارتها حتى اتصلت بالحضارة الأندلسية، وصارت تضاهي أجمل مدن المشرق والمغرب. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٨. البكري: المغرب، ص ٧٦-٧٧.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٩٥. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٢٤.الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦١.بينما يقول صاحب مفاخر البربر: "وكان سلطانهم يمتد إلى مدينة فاس قاعدة المغرب ومتبوأ جدهم إدريس، ويشتمل على سائر عمل وليلى وطنجة، ويقلص وقت الصعب والاضطراب حتى لا يجاوز عمل سبتة...". انظر: مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ٩٣.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣.وانظر: ابن حيان: المقتبس- تحقيق: د. عبد الرحمن الحجي، ص ٢٦-٢٧، وقد قدم لنا ابن حيان تفاصيل زيارة القائد جعفر بن عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسي وأخيه يحيي إلى الأندلس حاملين رأس زيري ورؤوس عدد من أصحابه واستقبال الحكم المستنصر وكبار رجالات الدولة لهم، =

وفي سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م خرج من قرطبة جعفر ويحيي ابنا عليّ بن حمدون بن الأندلسي قائدَيْن إلى المغرب الأقصى وبين أيديهما الألوية والطبول؛ ليتولوا شئون المغرب بدلاً من الوزير يحيي بن محمد بن هاشم التجيبي، فوصلا إلى قلعة حجر النسر[١].

واستقام أمر المغرب بالقائد جعفر بن عليّ بن حمدون وأخيه يحيي بقية أيام الحكم المستنصر، ثم ما لبث يحيي أن خرج على سلطان أخيه ونازعه المُلك، واقتطع مدينة البصرة وما وراءها لنفسه، وجعل البصرة نفسها قاعدة له، وانضم إليه أكثر الرجال، وسيُعرف منذ ذلك التاريخ باسم: (صاحب البصرة)،حيث لقبه ابن خلدون بذلك، كما وصف مدينة البصرة نفسها بأنها دار ملكه[٢].

وفي سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م استدعى المنصور بن أبي عامر القائد جعفر بن عليّ بن حمدون من العدوة إلى الأندلس- وكان معروفًا بشدة البأس ورباطة الجأش ونباهة الذكر وجلالة القدر-ليساعده في التخلص من صهره القائد الكبير غالب بن عبد الرحمن الناصري، فتلكأ جعفر بن علي في الاستجابة لذلك، حيث كان يكره العودة إلى الأندلس لما أصابه بها قبل ذلك[٣]، فلما تواترت إليه كتب

=ص ٤٤، ٥٣، ٥٧. البكري: المغرب، ص ٥٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-تحقيق: د. إحسان عباس- دار صادر بيروت- د.ت، ١/ ٣٦٠، الترجمة رقم ١٣٧، ٢/ ٣٤٣، الترجمة رقم ٢٥٠. ابن الأبار: الحلة السيراء، ١/ ٣٠٦. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ٩٦-٩٧. تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٠٥. د. عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ٤/ ٢٠٦.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٤٩.مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٣. د. أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين، ص ٢١١.

(٢) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٠٧.وانظر: مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٦.

(٣) حيث يذكر ابن الأبار أن القائد جعفر بن علي بن حمدون وأخاه يحيي وفدا على قرطبة من العدوة برأس زيري بن منادكما أسلفنا، فأقاما مكرَّمَيْن عند الحكم المستنصر إلى أن وُشِيَ بهما عنده، فسخط عليهما، وأمر باعتقالهما وإيداعهما سجن المطبق بمدينة الزهراء، وظلا محبوسين إلى أن عفا الحكم عنهما بشفاعة صاحب خطة الرد عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البلوطي، فأطلق الحكم سراحهما، وأعادهما إلى مكانتهما،=

ابن أبي عامر، وبعد عدة نكبات وهزائم لحقت به،تخلى لأخيه يحيي عن أعمال المغرب، وعبر إلى الأندلس في جملة من البربر؛ فاتخذه ابن أبي عامر وزيرًا، وقَرَّبه إليه وأعلى مكانته لحاجة في نفسه(١).

ورغم ذلك فقد ظلت مدينة البصرة المغربية تحت حكم يحيي بن عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسي إلى أن كانت حملة أبي الفتوح بُلُكِّينبن زيري بن مَنَاد الصنهاجي أمير إفريقية من قبل العزيز بالله نزار بن معدّ على المغرب الأقصى لإخضاعه لسلطان العُبيديين وقطع دعوة الأمويين منه والانتقام لمقتل أبيه زيري بن مَنَاد، ولا شك أن انتقامه الأكبر كان من بني ابن الأندلسي– حكام البصرة– الذين تولوا قتل أبيه وإهداء رأسه إلى الحكم المستنصر كما أسلفنا.

وفي سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م(٢) نجح أبو الفتوح بُلُكِّين في اكتساح المغرب الأقصى كله، فملك فاس وسجلماسة وأرض الهبط(٣)، وطرد منها عمال بني أمية، وفر جميع الأمراء والزعماء الموالين للأمويين أمامه متحصنين بسبتة،

= وبعد وفاته نال جعفر بن علي مكانة كبيرة لدى الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، لكن يبدو أنه لم ينس أبدًا ما تعرض له من الإهانة والاعتقال. انظر: الحلة السيراء، ١/ ٣٠٦.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٢/ ٢٧٨.مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٤-١٠٥، ١٠٧. ابن الخطيب: أعمال الأعلام– القسم الثاني، ص ٦٣-٦٥.

(٢) جعل صاحب مفاخر البربر هذه الحملة سنة ٣٦٩ هـ/ ٩٧٩ م. انظر: مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٦.

(٣) أرض الهبط أو ناحية الهبط: تبتدئ هذه الناحية جنوبًا عند نهر ورغة لتنتهي شمالاً على المحيط الأطلسي، وتتاخم غربًا مستنقعات أزغار وشرقًا الجبال المشرفة على أعمدة هرقل، ويبلغ عرضها نحو ٨٠ ميلاً (١٢٦ كلم)، وطولها نحو ١٠٠ ميل (١٥٨ كلم)، وهي منطقة تتميز بخصوبة التربة ووفرة المزروعات.انظر: الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣٠٦.

طالبين المدد والعون من المنصور بن أبي عامر، وكان من بينهم يحيي بن عليّ بن حمدون (صاحب البصرة)(١).

فاستجاب المنصور بن أبي عامر لصريخهم، وعقد للقائد جعفر بن عليّ بن حمدون على حرب أبي الفتوح بُلُكِّينبن زيري، وأمده بالأموال وما يلزمه(٢)، فاحتشدت معه حشود كبيرة من زناتة وغيرها بساحة سبتة؛ استعدادًا لهذه المواجهة، فلما اطلع بُلُكِّين على هذه الاستعدادات الضخمة، ورأي اتصال المدد من العدوة إلى معسكرهم، تراجع عن المواجهة وقال كلمته المشهورة: "هذه أفعى فغرت إلينا فاها"، ورجع عنهم؛ليستكمل غارته على المغرب الأقصى، وكان ذلك سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨ م(٣).

وفي طريق عودته اجتاز على مدينة البصرة، بل قصد إليها قصدًا، وكان يمتلئ غيظًا على حاكمها من بني ابن الأندلسي (يحيي بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي)، حيث كان هو وأخوه جعفر بن عليّ قد قتلا أباه

---

(١) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٠٦-٢٠٧.ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣١. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٦.

(٢) لكنَّ ابن عذاري يذكر رواية مختلفة عن ذلك تمامًا، حيث يروي أن المنصور بن أبي عامر أرسل إلى أبي الفتوح بلكين بن زيري برأس القائد جعفر بن عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسي؛ إرضاءً له، وكان ابن أبي عامر قد دبَّرللتخلص من جعفر بن عليّ بعد أن ساعده في التخلص من صهره القائد الكبير غالب بن عبد الرحمن الناصري. يقول ابن عذاري: "ولما فرغ ابن أبي عامر من غالب، دبَّر الحيلة في حَتْف جعفر بن عليّ الذي أقامه أكبر معين في أمر غالب، فواطأ على قتله أبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي- فارس العرب- في طائفة من أصحابه الأندلسيين، فقتلوه غيلةً، ثم قتل ابنُ أبي عامر بعد ذلك أبا الأحوص، وانفرد وحده". انظر: البيان المغرب،٢/ ٢٧٩، ١/ ٢٣١. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثاني، ٦٢-٦٥.بينما يجعل ابن خلكان مقتل جعفر بن علي بالأندلس سنة ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤ م، أي في عهد الحكم المستنصر، وهو تاريخ بعيد، فمن المعروف أن مدبِّر قتله هو المنصور بن أبي عامر أيام حجابته لهشام المؤيد. انظر: وفيات الأعيان، ١/ ٣٦٠، الترجمة رقم ١٣٧.

(٣) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٠٧. مفاخر البربر لمؤلف مجهول، ص ١٠٦-١٠٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣١، ٢/ ٢٤٣. الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦٣. بينما يجعل ابن الأثير هذا الحدث سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م. انظر: الكامل في التاريخ، ٧/ ٣٦١.

زيري بن مَنَاد كما مرَّ معنا، ولذا قال ابن عذاري: "فرجع يريد البصرة"[١]، وقال ابن خلدون: "ورجع إلى البصرة فهدمها، وكانت دار مُلك ابن الأندلسي"[٢]، وكذلك قال ابن الأثير: "ورجع عنها– أي عن سبتة– نحو البصرة، وهي مدينة حسنة تسمى بصرة في المغرب"[٣]، وكأنه أراد أن يفرغ شيئًا من غيظه وحنقه فيها؛ انتقامًا من أصحابها، فهدمها ومحا رسمها بعد طول مدتها، وكثرة عمارتها كما يقول ابن عذاري[٤].

وكان بمدينة البصرة آنذاك حامية كبيرة من الأندلسيين والبربر، ويبدو أنها– لموقعها المتميز– كانت قد تحولت إلى مركز لتجمع قوات الأمويين العسكرية بالمغرب الأقصى، يقول ابن الأثير: "فدخل يوسف البصرة، وكانت قد عمرها صاحب الأندلس عمارة عظيمة..."[٥]، لذا فقد أمر أبو الفتوح بُلُكِّين جميعَ قواته بالتوجه نحوها، فلما رجع إليها دخلها وأمر بهدمها، ونَهَبَ ما كان فيها من الأموال والأمتعة وجميع الأسباب، فاستحالت الجيوش والأمم عليها هدمًا ونهبًا وتخريبًا، فصارت كأن لم تغن بالأمس[٦]، بل يذكر ابن عذاري أنها في زمنه– في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي– لم يعد لها أثر يُذكَر، فقال: "فلم تكن بصرةٌ بالمغرب إلى الآن، ودثر رسمها، وكانت قديمة أزلية"[٧].

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣١.
(٢) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٠٧.الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧/ ٣٦١.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣١.
(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧/ ٣٦١.
(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣١–٢٣٢.وقد جعل ابن الأثير هدم البصرة ونهبها على يدي يوسف (بلكين) بن زيري من أحداث سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م، وهو ليس حجة في تاريخ المغرب. انظر: الكامل في التاريخ، ٧/ ٣٦١.
(٧) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٢.كلمة (أزلية) التي وردت هنا في نص ابن عذاري ليست دقيقة، ولعلها سبق قلم أو خطأ من الناسخ، فالمعروف أن مدينة البصرة مدينة محدثة استحدثها الأدارسة، ولم تكن موجودة قبلهم.

وكان ابن عذاري المراكشي هو المؤرخ الوحيد- فيما أعلم-الذي روى لنا شيئًا مما أصاب هذه المدينة من التخريب والهدم والنهب، بينما اكتفى ابن خلدون بقوله عن أبي الفتوح بُلُكِّين بن زيري: "ورجع إلى البصرة فهدمها"(١)، ونقل الناصري في الاستقصا عنه ذلك(٢)، وقال ابن الأثير: "فدخل يوسف البصرة...فأمر بهدمها ونهبها"(٣).

وفي القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي- في زمن الحسن الوزان- لم يبق من هذه المدينة قائمًا غير الأسوار، وكذلك بعض الحدائق التي أمست أشجارها برية لا تثمر بسبب إهمال الأرض(٤).

وهكذا اندثرت هذه المدينة الإدريسية المهمة ومُحي أثرها بعد أن ظلت ما يقرب من قرن ونصف من الزمان تموج بالأحداث والصراعات والتقلبات السياسية، وتعاقب على حكمها طوائفُ عدة، فقد حكمها مؤسسوها الأدارسة، ثم الشيعة العبيديون وآل العافية المكناسيون والأمويون الأندلسيون، كما صارت في المرحلة الأخيرة من تاريخها- ونظرًا لأهميتها وموقعها المتميز- الحاضرة الثانية للأدارسة بالمغرب الأقصى بعد مدينة فاس.

* * *

ثانيًا: ملامح من الجوانب الحضارية بالبصرة المغربية:

إن المادة العلمية المتعلقة بالجوانب الحضارية في المصادر المختلفة دائمًا ما تكون شحيحة، وتحتاج من الباحثين إلى كثير من الجهد والبحث لجمع شتات هذه المادة لتكوين صورة معقولة ومقبولة عن تلكم الجوانب، وإذا كان الموضوع يتعلق بمدينة متوسطة الشهرة كمدينة البصرة المغربية فإن الأمر يزداد صعوبة وغموضًا، ويحتاج مزيد من الجهد والبحث، وسنحاول في السطور التالية- من خلال ما حصلنا عليه من معلومات- الوصول إلى تصور

---

(١) تاريخ ابن خلدون (طبعة دار الفكر)، ٦/ ٢٠٧.الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦٣.
(٢) الناصري: الاستقصا، ١/ ٢٦٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧/ ٣٦١.
(٤) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.

عام عما كانت عليه الحياة الاجتماعية والعمرانية والعلمية والأدبية في هذه المدينة.

١- الملامح المعمارية لمدينة البصرة المغربية:

مدينة البصرة المغربية مدينة كبيرة واسعة[١]، وقال ابن حوقل: "مدينة مقتصدة"[٢]، تقع على ربوة عالية تشرف على بسائط ونظر واسع[٣]، وتقع بين شرفين (جبلين)[٤]، وعليها سور ليس بالمنيع[٥] مبني بالحجارة والطوب[٦]، ووصف الوزان أسوارها بأنها جميلة وعالية[٧]، ولها عشرة أبواب[٨]، وهو عدد كبير يدل على أن المدينة كانت كبيرة وواسعة بالفعل، وليست مقتصدة كما ذكر ابن حوقل، ولم تمدنا المصادر- للأسف- بأسماء هذه الأبواب كعادتها في الحديث عن أبواب المدن الكبيرة.

---

(١) البكري: المغرب، ص ١١٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.

(٣) الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.

(٤) البكري: المغرب، ص ١١٠.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.وعند الإدريسي: ليس بالحصين. انظر: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.

(٦) البكري: المغرب، ص ١١٠.ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣. وقد أشرنا من قبل إلي دلالة ذلك من الناحيتين العسكرية والدفاعية، وهو أن مدينة البصرة لم تكن ذات طابع عسكري، وأن سورها لم يكن دفاعيًا بدليل تكرار فرار الأدارسة منها عند الخطر أو عند تعرض مدينتهم للحصار إلى أماكن أخرى أكثر حصانة للاحتماء بها، كقلعة حجر النسر وغيرها.

(٧) الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.

(٨) البكري: المغرب، ص ١١٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ١٨٩.ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.

وجامع المدينة سبع بلاطات؛ أي سبعة أروقة عرضية موازية لحائط القبلة[١]، وبها حَمَّامان كبيران[٢]، كما أن لها مقبرتين؛ الكبرى في شرقيها في جبل، والثانية في غربيها تُعرف بمقبرة قضاعة[٣].

* * *

٢-ملامح من الحياة الاقتصادية بالبصرة المغربية:

مدينة البصرة إحدى مدن إقليم المغرب الأقصى، ولا شك أنها استفادت كثيرًا من الرخاء الاقتصادي الذي كان ينعم به هذا الإقليم، واكتسبت أهميتها الاقتصادية منه، وسنحاول في السطور التالية أن نحدد شيئًا من ملامح الحياة الاقتصادية بهذه المدينة المغربية الإدريسية المهمة.

- **البصرة المغربية مدينة زراعية:**

أما عن مدينة البصرة بالمغرب الأقصى فقد تمتعت بأهمية اقتصادية كبيرة؛ نظرًا لما كانت تتميز به من عوامل طبيعية وموقع متفرد جعلها تحظى بتلك الأهمية، أما من الناحية الزراعية فمدينة البصرة موصوفة بالخصب والخير، ووصفها ابن حوقل فقال: "ولها مياه عن خارجها من عيون، عليها بساتين من شرقيها، ولها غلات كثيرة من القطن المحمول إلى إفريقية وغيرها، ومن غلاتهم القمح والشعير والقطاني وسهمهم من ذل كوافر"[٤]، ولا شك أن كثرة الحدائق والبساتين فيه دلالة على وفرة محاصيلها من الفواكه المتعددة[٥]، كما

---

(١) انظر: د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، ١٩٩٧ م، ١/ ٢٩٤-٢٩٥.د. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ٢/ ٤٦٦.

(٢) البكري: المغرب، ص ١١٠.ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.

(٣) البكري: المغرب، ص ١١٠.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠.

(٥) انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.

كان محصول القطن من محاصيلها الأساسية(١)، قال الإدريسي: "وأكثر غلاتها القطن والقمح، وسائر الحبوب بها كثيرة"(٢).

كما اشتهرت بإنتاج الكتان، بل تميزت بإنتاجها الوافر منه، وكان تجارها "يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجاراتهم بالكتَّان"(٣)، ويبدو أنه كان من أشهر منتجاتها؛ لذا فقد عُرفتِ باسم (بصرة الكِتَّان)(٤).

ولا شك أن ازدهار الزراعة أدى إلى وفرة المراعي وكثرتها، ولذا فقد ازدهر بها أيضًا النشاط الحيواني وتربية الماشية، وأصبحت تمتلك ثروة حيوانية كبيرة، لذا فقد عرفت ببصرة الذِّبَّان أو بصرة الألبان؛ لكثرة ألبانها(٥).

- **البصرة إحدى طرق التجارة الداخلية.**

لقد ضم إقليم المغرب الأقصى شبكة واسعة من الطرق والمسالك الداخلية بين مختلف مدنه الصغيرة والكبيرة، وكذل كالقرى، وساعدت هذه الطرق على ازدهار النشاط التجاري الداخلي، وتنقسم هذه الطرق إلى طرق برية ونهرية كما يلي:

أولاً: الطرق البرية:

توجد شبكة من الطرق البرية بين مدن إقليم المغرب الاقصى كان من بينها الطرق بين فاس ومدن المغرب الاقصى، وكان من أبرزها: (طريق فاس- البصرة المغربية)، حيث ترتبط مدينة فاس بالبصرة المغربية بطريق قدره

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠. الادريسي، نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.
(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.
(٣) البكري: المغرب، ص ١١٠.
(٤) انظر: البكري: المغرب، ص ١١٠.ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.
(٥) انظر: البكري: المغرب، ص ١١٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩. وعن تجارة البصرة انظر: الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠-٤٤١. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٣٣-١٣٤. الحميري: الروض المعطار، ص ١٠٨-١٠٩. الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١. ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ١/ ١١١،حاشية رقم ١٤٠.

الاصطخري بثماني مراحل[١]، بينما يذكر المقدسي أن طوله ست مراحل[٢]، وتكلم البكري عن مرحل هذا الطريق بين فاس والبصرة، وقدر طوله بأربعة مراحل قائلا: "من مدينة البصرة إلى نهر ردات مرحلة[٣]، وقدر ياقوت الحموي الطريق بين فاس والبصرة المغربية بـــ "مسيرة أربعة أيام"[٤]، بينما قدره الحميري بـــ "مرحلتين"[٥].

ونلاحظ هنا اختلاف الجغرافيين في تحديد طول هذا الطريق الحيوي المهم، وهذا الاختلاف في التقديرات ربما يُعزى إلى أن هناك عددًا من الطرق- منها ما هو قصير ومنها ما هو طويل- كانت تربط فاس بالبصرة، وهذا ما يشير إلى أهمية كلتا المدينتين في النشاط التجاري الداخلي في المغرب الأقصى.

ولابد من الاشارة هنا إلى وجود طرق فرعية صغيرة في المغرب الأقصى تربط بين مدينة وأخري مثل مدينة بصرة المغرب ومدينة الأقلام، فالمسافة بينهما أقل من مرحلة، وكذلك بين مدينة تُشُمُّس[٦] وبصرة المغرب،فالمسافة بينهما دون المرحلة على الظهر[٧].

(١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٤٦.
(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- طبعة ليدن، ١٩٠٩ م، ص ٢٤٧.
(٣) البكري: المغرب، ص ١١١.
(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠.
(٥) الحميري: الروض المعطار،ص ١٠٩.
(٦) مدينة تشمُّس: بضمتين وتشديد الميم والسين المهملة، مدينة قديمة في الشمال الغربي المغربي على الضفة اليمنى لوادي اللوكوس قبل نفاذه إلى المحيط، وبينها وبين البصرة دون المرحلة، وهي إلى الشمال من مدينة سوق كتامة، ودون طنجة بأيام كثيرة، وعليها سور من البناء القديم، وكانت تحت حكم الأدارسة الذين تولوا الحكم في إمارة الريف، وقد تراجعت بعدهم فصارت قرية صغيرة. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠. البكري: المغرب، ص ١١٤. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢/ ٣٢.الإدريسي: نزهة المشتاق، ١/ ٥٢٩-٥٣٠. ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١٣٧، ١٣٨.
(٧) انظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣٠. ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٠.

ثانيًا: الطرق النهرية:

حيث يجري في إقليم المغرب الأقصى عدد من الأنهار، لكن هذه الانهار تعد على العموم غير صالحة للملاحة؛ لأنها تستمد مياهها من الأمطار غير الثابتة وغير المنتظمة لا بموعد سقوطها ولا بنسبها، ومع ذلك استخدمت بعض الأنهار كطرق لنقل البضائع والمنتجات من بعض المدن الداخلية إلى الموانئ في المغرب الأقصى.

وقد أشار الإدريسي إلى أن أهل مدينة بصرة المغرب كانوا يستخدمون "نهر سفدد وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب... وفي هذا النهر يركب أهل البصرة في مراكبهم بأمتعتهم حتى يصلوا إلى البحر فيسيروا فيه حيث شاءوا"[(1)]، وهكذا استخدم أهل مدينة البصرة الطرق المائية في نقل منتجاتهم وإيصالها إلى موانئ في المغرب الأقصى، سواء الواقعة على البحر المتوسط أو على المحيط الاطلسي، ومن ثَمَّ نقلها إلى الأسواق الخارجية،حيث يكون الطلب عليها كثيرًا.

- **البصرة إحدى طرق التجارة الخارجية:**

تسير من إقليم المغرب الأقصى جملة من الطرق التجارية التي ترتبط مع أقاليم ومدن بلاد المغرب الأخرى ومصر والمشرق الاسلامي وبلاد السودان، وهي طرق برية، أما الطرق البحرية فتربطه مع الأندلس وجنوب أوربا وبلاد الشام وغيرها.

أما فيما يتعلق بالطرق البرية، فنجد عدة طرق تربط بين المغرب الأقصى وإقليم يالمغرب الأوسط والأدنى؛ منها الطريق الساحلي (الجادة)، والطريق الداخلي، أما الطريق الداخلي فهو ما يعنينا في هذا البحث، حيث تمثل مدينة

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣٠. وانظر: الوزان: وصف أفريقيا، ص ١٠٩. د. صباح الشيخلي: "النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن ٤ هـ/ ١٠ م: دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل"- مجلة التاريخ العربي- العدد (٦)- ١٤١٩ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٤٨.

البصرة المغربية إحدى محطاته الأساسية والمهمة، فقد ارتبطت المدن الداخلية في المغرب الأقصى بطريق داخلي يسير نحو المغرب الأوسط ومن ثَمَّ إلى المغرب الأدنى، ويعد (**طريق البصرة المغربية – القيروان**[١]) واحدًا من أهم هذه الطرق، حيث ترتبط هاتان المدينتان بطريق داخلي يمر على فاس، ومن ثَمَّ إلى تاهرت في المغرب الأوسط، ويكمل نحو قسطيلية[٢] وقفصة [٣]، وتقدر مسافة هذا الطريق بـــ "ست وعشرين مرحلة وثمانية عشر يومًا"[٤].

---

(١) القيروان: مدينة تونسية، تبعد القَيْرَوَان حوالي ١٥٦كلم عن تونس العاصمة، وتقع في الوسط الغربي، ويعود سبب أهميتها إلى دورها الاستراتيجي في الفتح الإسلامي، فمنها انطلقت حملات الفتح نحو الجزائر والمغرب وإسبانيا وأفريقيا،ويعود تاريخها إلى عام ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع الفهري، وتعتبر القيروان من أقدم وأهم المدن الإسلامية، بل هي المدينة الإسلامية الأولى في منطقة المغرب،وكلمة القيروان أو "كيروان" كلمة فارسية دخلت إلى العربية، وتعني مكان السلاح ومحط الجيش أو استراحة القافلة وموضع اجتماع الناس في الحرب، تعاقب على حكمها العديد من الأسر السياسية، منهم: الأغالبة ثم العبيديون بعد انتصارهم على الأغالبة في معركة الأربس الحاسمة سنة ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م، ولما انتقل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر استخلف بلكين بن زيري الصنهاجي على إفريقية، وبعد انقسام البيت الصنهاجي أعلن المعزبن باديس الصنهاجي استقلاله عن الفاطميين، فبعثوا إليه بقبائل الأعراب من الهلاليين فمزقوا شمل الدولة، وقضوا على معالم الحضارة، وخربت القيروان، فاختار الحفصيون تونس عاصمة لإفريقية بدلاً من القيروان التي أعيد إعمارها مرة أخرى في زمن العثمانيين حتى صارت إحدى أهم المدن في الجمهورية التونسية حاليًّا. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٤٢٠-٤٢١. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١١٣-١١٥. الإدريسي: نزهة المشتاق، ١/ ٢٨٤.

(٢) قسطيلية: هي بلاد الجريد اليوم في جنوب غرب القطر التونسي، وقاعدتها مدينة توزر-مقر العمال والولاة-ومن أهم مدنها الحمة ونفطة وتقيوس، وتشتهر بالنخيل والزيتون. انظر: البكري: المغرب، ص ٤٨-٤٩. الاستبصار لمؤلف مجهول، ١٥٥-١٥٧. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٤١، حاشية رقم ١.

(٣) قفصة: بفتح القاف وسكون الفاء مدينة من مدن الجريد في الشمال الشرقي لمدينة توزر في جنوب القطر التونسي، وهي مدينة قديمة، وكانت تعرف عند الرومان كبصة، وتتميز بكثرة النخل والزيتون وأصناف الفواكه، وحولها قصور كثيرة آهلة عامرة تسمى (قصور قفصة). انظر: البكري: المغرب، ص ٤٧. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٥٠-١٥٤. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٤٠، حاشية رقم ٤.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٤.

أما فيما يتعلق بالطرق البحرية، فإن ارتباط المغرب الأقصى بالبحر المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب وامتداد سواحله على مسافات طويلة منها حتّمَ وجود عدد من الطرق البحرية التجارية يتم عبرها انتقال السلع والبضائع من وإلى المغرب الأقصى، وقد شكلت مدينة البصرة المغربية نقطة مهمة لإحدى هذه الطرق، حيث ارتبطت موانئ المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي بموانئ الأندلس بعلاقات تجارية نشطة ومستمرة[1].

وقد أشار الاصطخري إلى طريق بحري يسير من "البصرة (المغربية) بجزيرة جبل طارق ثم يمتد على البحر المحيط إلى شنترين[2]، وهي آخر بلاد الاسلام"[3]، ووصف السير بهذا الطريق قائلاً: "لو أن رجلاً سار من البصرة (يقصد البصرة المغربية) على السواحل حتى يعود إلى مايحاذيه من أرض

---

(١) موريس لومبارد: الإسلام في فجر عظمته- ترجمة: حسين العودات- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، ١٩٧٩ م، ص ٨٢-٨٣.

(٢) شنترين(Santarém):مدينة في غرب مملكة البرتغال شمالي لشبونة (Lisboa) العاصمة، وهي معدودة في كورة باجة (Beja)، ومن أعمال لشبونة، وتبعد عنها إلى الشمال ٦٧ كلم، بينما تبعد عن قرطبة (Córdoba) إلى الغرب ١٥ يومًا، وعن باجة ٤ أيام، وتقع على نهر تاجه (Tajo) قرب مصبه في المحيط الأطلسي، وهي على جبل شاهق الارتفاع، وتتميز أرضها بالخصوبة، وفيها جامع عظيم، وحمامات كبيرة، وأسواق واسعة مرتبة، وقد ظلت في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليها النصارى سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨ م، حيث استولى عليها ألفونسو هنريكيز (Alfonso Henríquez) (ابن الريق أو الرنك)-كما تسميه المصادر الإسلامية- ملك البرتغال بعد احتلاله مدينة لشبونة في العام السابق (٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م)، وقد حاول الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠ هـ/ ١١٦٢-١١٨٤ م) استعادتها سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م بعد أن حاصرها شهرًا كاملاً إلا أن المنية وافته تحت أسوارها قبل استكمال مهمته، فانسحب جيشه عائدًا إلى إشبيلية (Sevilla). انظر: البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٦٣، ٧٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٣٦٦-٣٦٧. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٣-١١٤. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ١/ ٤١٧. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٠.

(٣) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٦٨. وانظر: ابنسعيد المغربي: كتاب الجغرافيا- حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي- منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط ١، ١٩٧٠ م،ص ١٩٢.

الأندلس لا يحتاج إلى أن يعبر نهرًا أو خليجًا أمكنه"، ومقدار المسافة فيه نحو سبعة أشهر[(١)].

والواقع أن الطرق البحرية التي ربطت المغرب الأقصى بالأندلس لم ينقل عبرها بضائع المغرب الأقصى فقط، بل البضائع الواردة إلى هذا الإقليم من بلاد السودان ومن الشرق وبضائع أقاليم المغرب أيضًا[(٢)].

- **البصرة إحدى المراكز التجارية الداخلية:**

تعددت المراكز التجارية بإقليم المغرب الأقصى، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: الأول: المراكز الساحلية، والثاني: المراكز الداخلية؛ أما المراكز الساحلية فنوعان: مراكز ساحل البحر المتوسط مثل: سبتة وطنجة، ومراكز المحيط الأطلسي، مثل: بحيرة آريغ[(٣)] وسلا[(٤)] وأصيلا[(٥)]وآسفى[(٦)].

---

(١) الاصطخري: مسالك الممالك،ص ٦٩.

(٢) انظر: موريس لومبارد: الإسلام في فجر عظمته، ص ٨٣.

(٣) بحيرة آريغ: بحيرة صغيرة على المحيط الأطلسي، بل أصلها منه، وتقع في شمال المغرب، وتعد واحدة من أهم وسائل التبادل التجاري بين مدن الشمال الغربي المغربي. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٢.

(٤) سلا: مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى المغرب، يفصلها عن مدينة الرباط وادي أبي الرقراق، اهتم ببنائها بنو يفرن الزناتيون واتخذوها قاعدة لهم في القرن الخامس الهجري، وكانت محط اهتمام الأسر الحاكمة فيما بعد، وظلت على مدار تاريخها قاعدة بحرية وعسكرية للأساطيل والجيوش الإسلامية، وبعد سقوط الأندلس كانت- هي والرباط- مأوى لعدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الذين احترفوا مهنة القرصنة البحرية كي يتسنى لهم مواصلة الجهاد ضد الإسبان والبرتغال. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٢. البكري: المغرب، ٨٧، ١٢٤، ١٧٢، ١٧٩. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ١٦٥، حاشية رقم ١. أحمد مختار العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٥٧-٥٩. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٢٠٧.

(٥) سبق التعريف بها.

(٦) آسفي: تقع مدينة آسفي على المحيط الأطلسي بين مدينتي الجديدة والصويرة، وتبعد عن مدينة الدار البيضاء بحوالي ٢٠٠ كلم،وعن مدينة مراكش بحوالي ١٦٠ كلم، وتعد من بين أعرق الحواضر بالمغرب،إذ تضم مجموعة من المآثر التاريخية والقلاع التي تشهد على أصالة هذه المدينة. انظر: ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ١٦٠، حاشية رقم ٩٧.الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ١٤٧.

وأما المراكز التجارية الداخلية فتمثلت في عدة مدن مهمة، منها: فاس والبصرة المغربية ومراكش[1] وأغمات[2] وسجلماسة، وما يهمنا هنا هو الكلام عن البصرة المغربية باعتبارها أحد المراكز التجارية الداخلية المهمة بإقليم المغرب الأقصى، حيث تعد من أبرز مدن هذا الإقليم، وموقعها كما قال الاصطخري: "بحذاء جبل طارق وبينها وبين الجزيرة المذكورة (يقصد الجزيرة الخضراء بالأندلس) عرض البحر اثنا عشر ميلاً"[3]، وكانت البصرة المغربية كثيرة الغلال والمحاصيل الزراعية[4]، وقد صدرت منتجاتها الزراعية الفائضة عن حاجتها إلى المغرب الأدنى، وكذلك إلى بلاد برغواطة[5]، وهي مناطق السهل الساحلي المطل على المحيط الأطلسي.

ولا ننسى أن نشير إلى بحيرة آريغ سالفة الذكر ومدي أهميتها لمدينة البصرة وأهلها، حيث يركب فيها أهل البصرة، ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياثة[6]، والظاهر أن هذه البحيرة متصلة من أجل أن تحمل المنتجات

---

(١) مَرَّاكُش: إحدى الحواضر المهمة في المغرب الأقصى، تقع في سفح جبل الأطلس الكبير في بسيط من الأرض، ويمر في شمالها نهر تانسيفت، أسسها أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٩ هـ/ ١٠٦٧ م، ثم اختط سورها ولده عليّ بن يوسف سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠ م، ودخلها الموحدون في ١٨ من شوال سنة ٥٤١ هـ/ ٢٤ مارس سنة ١١٤٧ م، وهي مدينة طيبة التربة، عذب ماؤها، كثيرة الزرع والضرع، وهي أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات، وأكثر شجرها الزيتون. انظر: الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ٢٠٨-٢١٠.

(٢) أغمات: مدينة تاريخية قديمة على بعد ٣٧ كلم جنوب شرق مدينة مراكش، وقد اندثرت الآن ولم يبق منها سوى بعض الأطلال، وبها ضريح المعتمد بن عباد الأندلسي أحد ملوك الطوائف، وكانت مركزًا للعلم والعلماء، كما اشتهرت بخيراتها الوفيرة وبساتينها الخصبة. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٠. البكري، المغرب، ص ٨٦، ١٥٢-١٥٤. الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ٧٩-٨٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ٢٠٧. ابن الخطيب: أعمال الأعلام- القسم الثالث، ص ٢٠٤، حاشية رقم ٤. الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ١٣٥.

(٣) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٣٨.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ٨٣.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٢.

الزراعية التي كانت تفيض عن حاجة سكان مدينة البصرة فتصدر إلى الأندلس، وهكذا نجد أن المستفيد من ميناء بحيرة آريغ هي مدينة البصرة المغربية والمدن المحيطة بها، حيث إن وجود هذا الممر جعل مرسى آريغ ذا عمق يحميه من الأعاصير البحرية التي تهدد المراكب، ولذا نفترض أن النشاط البحري في الميناء مستمر على مدار السنة، وأن حركة السفن القادمة إليه والخارجة منه كثيفة للغاية.

- **صادرات البصرة المغربية:**

تنوعت صادرات المغرب الأقصى ما بين منتجات زراعية وحيوانية وثروات طبيعية وسلع مصنعة، بالإضافة إلى بضائع وسلع مستوردة أعيد تصديرها، وقد حملت هذه المنتجات والبضائع والسلع إلى خارج المغرب الأقصى وفي اتجاهات مختلفة.

وكانت مدينة البصرة المغربية إحدى أهم مدن المغرب الأقصى التي أسهمت في رواج التبادل التجاري الداخلي؛ بسبب ثرائها الاقتصادي وثرواتها المختلفة ووفرة منتجاتها المحلية التي كانت تفيض عن حاجتها، فتُصدَّر إلى المدن الأخرى من مدن الإقليم التي لا تزرع هذه المنتجات، أو تزرعها ولكنها لا تفي بحاجتها، كي يحصل نوع من الاكتفاء الذاتي والتكامل الاقتصادي بين مدن الإقليم، وكان من أبرزها المنتجات الزراعية والحيوانية التي كانت تصدرها إلى أماكن متعددة، منها إقليما المغربين الأوسط والأدنى على وجه الخصوص:

أ. **المنتجات الزراعية:**

تشكل المنتجات الزراعية رأس قائمة صادرات المغرب الأقصى بصفة عامة، ومدينة البصرة المغربية بصفة خاصة، وهي منتجات متنوعة، وقد صدرت بصرة المغرب الفائض من إنتاجها الزراعي إلى المغرب الأدنى

(إفريقية)، يقول ابن حوقل: "ولها غلات كثيرة من القطن المحمول إلى إفريقية وغيرها"[1].

كما اشتهرت بإنتاج الكتان، بل تميزت بإنتاجها الوافر منه، وكان تجارها "يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجاراتهم بالكتان"[2]؛ لذا كان من أسمائها المتعددة (بصرة الكتان) كما أسلفنا، ومن هذا نستطيع القول إن الكتان كان منتجًا زراعيًّا مهمًّا في قائمة صادرات مدينة البصرة المغربية.

وهناك الكثير من المنتجات الزراعية الأخرى التي أنتجتها مدينة البصرة المغربية، ولكن لم نجد إشارة صريحة في مصادرنا تشير إلى تصديرها، أو إلى الجهة المصدرة إليها، ولكن الذي نفترضه أن الفائض عن حاجة المدينة من هذه المنتجات كان يدخل ضمن قائمة الصادرات (الداخلية والخارجية)، فقد عُرفت البصرة بإنتاجها الوافر من القمح والشعير[3] الذي كان يفيض عن حاجتها[4]، فيصدر– على سبيل المثال– إلى مدينة سبتة التي لا يوجد بها قمح، وإنما يُجلَب إليها[5].

أما بالنسبة إلى الفواكه، فقد عُرفت مدن المغرب الأقصى بكثرة البساتين وإنتاج أنواع مختلفة من الفواكه، وتأتي في مقدمة هذه المدن مدينة البصرة المغربية التي تميزت بكثرة بساتينها، ووفرة محاصيلها من الفواكه المتعددة[6].

كما عُرفت بصرة المغرب أيضًا بغزارة إنتاجها من محصول القطن[7]، وكان الفائض عن حاجتها يعاد تصديره إلى مدن المغرب الأقصى.

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠.
(٢) البكري: المغرب، ص ١١٠.
(٣) انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠. البكري: المغرب، ص ١١٠.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ١٨٦. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠.
(٥) انظر: ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١٣٧.
(٦) انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠.
(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨٠. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ١٨٦. د. حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين– مكتبة الخانجي– مصر– ط١، ١٩٨٠م، ص ٢٤٢.

ب. الثروات الحيوانية:

كما أسلفنا أيضًا فقد عرفت بصرة المغرب بكثرة الثروة الحيوانية فيها؛ لسعة مراعيها وغناها، وعُرفت بكثرة إنتاجها للألبان حتى إنها سميت: "بصرة الذِّبَّان"[(١)]، أو "بصرة الألبان"[(٢)].

* * *

٣- ملامح من الحياة الاجتماعية بالبصرة المغربية:

لقد أمدنا ابن حوقل بمعلومات نادرة ومهمة عن أخلاق أهل البصرة وطباعهم، فقال: "وفيها قوم لهم خطر، وميل إلى السلامة والعلم، ولهم محاسن في خلقهم قد عمت نساءهم ورجالهم....ويشملهم الستر والسلامة والمعروف"[(٣)]، وقال عنهم الإدريسي: "وأهلها أعفاء، ولهم جمال وحسن أدب"[(٤)]، كما كانوا- أيضًا- كرماء مشهورين[(٥)]، أما عن أوصافهم الجسمية، فكانوا يتميزون بالطول الفارع وحسن الهيئة والجمال، يقول ابن حوقل: "والغالب عليهم حسن القدود والشطاط واعتدال الخَلْق وجمال الأطراف"[(٦)].

وهنا لا ننسى ما ذكره البكري عن جمال نساء البصرة وحسنهن الفائق، حيث يقول: "ونساء البصرة مخصوصة بالجمال الفائق والحسن الرائق، ليس بأرض المغرب أجمل منهن"[(٧)]، وينقل لنا ما قاله قاضي تاهرت وشاعرها أحمد بن فتح المعروف بابن الخرَّاز التاهرتي[(٨)]، متغزلاً في جمال نساء البصرة وحسنهن الأخاذ، فيقول:

---

(١) انظر: البكري: المغرب، ص ١١٠.
(٢) الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.
(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.
(٤) الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.
(٥) انظر: الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.
(٦) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.
(٧) البكري: المغرب، ص ١١٠. وانظر: وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠. الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.
(٨) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص ٥٨.

مَا حَـازَ كُلَّ الحُسْن إلاَّ قَيْنَـةٌ بَصْرِيَّةٌ في حُـمْـرَةٍ وبَيـاضِ
الخَمْرُ في لَحَظَاتِها والـوردُ في وَجَنَاتِهـا هَيْفَـاء غـيرُ مُفَاضِ
في شكل مُرْجِيٍّ ونُسْكِمُها جـرٍ وعفـاف سِنِّيٍّ وسَـمْتِ إبـاضِ(1)

كما تميزت البصرة أيضًا بالمناخ المعتدل، فقد وصفها ابن حوقل بأنها: "طيبة الهواء صحيحة التربة"(2)،وقال الإدريسي: "وهواؤها معتدل"(3)، ولهذا كان حكَّام الأدارسة يتخذونها مقامًا لهم في الصيف؛ لشدة جمال ضواحيها سواء في السهل أو الجبل(4)، ويبدو من وصف البلدانيين لها أنها كانت كثيرة السكان، وتتميز بأسواقها الحسنة التي تعج بالحركة والنشاط والعمران، يقول ابن حوقل عنها: "وهي خصبة كثيرة الخير، حسنة الأسواق والعمارة"(5)، وذكر المقدسي أنها "كانت مدينة كبيرة عامرة..."(6)، وقال الإدريسي: "وهي عامرة الجهات"(7)، وخلاصة القول في ذلك أنها كانت "متحضرة جدًّا طوال حكم الأدارسة"(8).

وماؤها ملح أجاج لا يصلح للشرب، وكان أهلها يعتمدون في شربهم على بئر عذبة تقع في مدخل المدينة تُعرف ببئر ابن ذلفاء(9)، بالإضافة إلى عدد من العيون والآبار العذبة الواقعة خارجها والقريبة منها، وكانت تفي باحتياجات

(1) البكري: المغرب، ص ١١٠. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠-٤٤١. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.
(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.
(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.
(4) انظر: الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.
(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.
(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠.
(7)الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٣١.
(8) انظر: الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ١/ ٣١١.
(9) البكري: المغرب، ص ١١٠.ووردت عند ابن عذاري باسم (بئر أبي ذلفاء). انظر: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.

أهلها من الماء، يقول ابن حوقل: "ولها مياه عن خارجها من عيون"[١]، "وفي بساتينها آبار عذبة" كما ذكر ياقوت الحموي[٢].

وكان أهلها يعتمدون في معاشهم وتحصيل أرزاقهم على ممارسة التجارة، فكانوا يتبايعون في بدء أمرها- في جميع تجاراتهم- بالكتان، ولذا كانت تُعرف ببصرة الكتان[٣]، ثم تميزت بعد ذلك بوفرة النشاط الحيواني وتربية الماشية لكثرة مراعيها وغناها حتى صارت أكثر تلك النواحي ضرعًا، ولذا عُرفت أيضًا ببصرة الذبان[٤]، بينما سمَّاها صاحب الاستبصار بصرة الألبان؛ لكثرة ألبانها، فقال عنها: "كثيرة الزرع والضرع، ليس بتلك النواحي أوسع مرعًى منها، وبكثرة ألبانها كانت تُعرف ببصرة الألبان"[٥].

* * *

٤- ملامح من الحياة العلمية والأدبية بالبصرة المغربية:

ليست لدينا معلومات كافية لتصوير الحياة العلمية بمدينة البصرة المغربية، لكن بالبحث توصلنا إلى عدد من العلماء الذين نُسبوا إليها وكانوا من أهلها، وفي علو مكانتهم العلمية دليل على ما شهدته المدينة من ازدهار علمي ونشاط فكري كانت تنافس به الحواضر الكبيرة في ذلك الوقت، كمدينة فاس وغيرها.

ومن أشهر علماء هذه المدينة الشيخ أبو هارون العمري البصري، نسبةً إلى بصرة المغرب، قرب مدينة فاس، واسمه عمران بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد الله بن علي بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه، كانت له رحلة إلى الأندلس، خاصة إلى بَجَّانة[٦]،

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٨١.وانظر: البكري: المغرب، ص ١١٠.
(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠.
(٣) البكري: المغرب، ص ١١٠. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٠٣.
(٤) البكري: المغرب، ص ١١٠.
(٥) الاستبصار لمؤلف مجهول، ص ١٨٩.
(٦) بَجَّانة (Pechina):بلدة تقع في مقاطعة المرية جنوب شرق إسبانيا، بُنيت في عهد بني أمية لأسباب عسكرية، إذ رغبوا في حماية الساحل الجنوبي الشرقي الأندلسي من غارات المجوس (النورمان) المتكررة، فعهد الأمويون إلى بني سراج القضاعيين=

فسمع من أهلها وسمعوا منه، وهو أول من أدخل كتاب محمد بن المواز- المعروف بالموازية- إلى الأندلس(١).

كما كانت له رحلة إلى المشرق،وفي طريقة سمع بالقيروان من ابن اللباد، وسمع بالإسكندرية من ابن ميسر، وابن أبي مطر،وكانفقيهًا عالمًا، وتوفي ببلده البصرة سنة٣١٣ هـ/ ٩٢٥ م(٢).

وكذلك معاصراه أحمد بن حذافة وبشار بن بركانة كانا فقيهين كبيرين من فقهاء بصرة المغرب، وكان أحمد فقيها من نمط أبي هارون العمري، وكان بشار دونهما فقهًا وعلمًا(٣)، وبعد رحلة مشرقية مليئة بالنشاط والحركة عاد هؤلاء الثلاثة إلى بصرة المغرب لينشروا علمهم بين الناس(٤).

ومن علماء البصرة المغربية أيضًا أبو زكريا يحيي بن خلف الصدفي الذي رحل إلى المشرق فسمع بمكة من أبي سعيدبن الأعرابي ومن غيره، وحدَّث كثيرًا، ودخل الأندلس أكثر من مرة مرابطًا في ثغرها، ومجاهدًا، وتاجرًا، وأخذ عنه كثير من الأندلسيين ورجال سبتة التي توفي بها(٥).

=بحراستها وحمايتها نظير التمتع باستقلال جزئي، ومع مرور الوقت أصبحت مدينة كبيرة زاهرة، وظلت شبه مستقلة حتى أمر الناصر ببناء مدينة المرية سنة ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥ م، ففقدت بجانة أهميتها وتحولت تدريجيًا من مدينة كبيرة مزدهرة إلى مجرد قرية صغيرة تابعة للمرية. انظر: العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٨٢، ٨٦-٨٧. ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ٢/ ١٩٠. الإدريسي: نزهة المشتاق، ٢/ ٥٦٦. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٣٣٩. الحميري: الروض المعطار، ص ٧٩-٨٠.

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ٥/ ١٤٨.
(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ٥/ ١٤٨-١٤٩.
(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ٥/ ١٤٩.
(٤) محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي، ١/ ١٥.
(٥) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس- تحقيق: د. بشار عواد معروف، ٢/ ٢٤٥، الترجمة رقم ١٦٠٥.

وكان أمراء البصرة المغربية يعملون جاهدين على جلب الشعراء إليها، خاصة الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس(١)، وهو ممدوح الشاعر المعروف أبي عبد الرحمن بكر بن حمَّاد التاهرتي (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨ م)(٢)، بل هو الذي استجلبه- كما يقول البكري(٣)، وقد مدحه بأمداح كثيرة، وسبق أن أوردنا الأبيات التي مدح بها بكر بن حماد الأمير أحمد بن القاسم، وكان مطلعها:

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُـرُوءَةَ والنَّـدَى ... جُمِعَتْ لأَحْمَد من بنين القَاسِـمِ

وكذلك الأمير أبو العيش عيسى بن إبراهيم بن القاسم بن إدريسممدوح قاضي تاهرت وشاعرها أحمد بن فتح المعروف بابن الخرَّاز التاهرتي(٤)، وكان من بين أبيات مدحه- التي أوردتها المصادرُ- تغزله في جمال نساء البصرة المغربية وحسنهن الفائق، وبيان حبه لمدينة البصرة المغربية التي اتخذها وطنًا له بدلاً من مدينته الأصلية تاهرت، وقد بدأ الأبيات بقوله:

مَا حَـازَ كُـلُّ الحُسْنِ إلاَّ قَيْنَـةٌ ... بَصْرِيَّةٌ في حُـمْـرَةٍ وبَيَـاضِ

وختمها بقوله عن الأمير عيسى:

ماعُـذْرُهَا والبَحْرُ عيسى رَبُّهـا ... ملكُ المُلُـوك ورائضُ الرُّوَاضِ(٥)

* *

---

(١) انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٢٣٥.
(٢) راجع عنه: البكري: المغرب، ص ٦٧. ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ١٥٣-١٥٤. محمد بن رمضان شاوس: الدر الوقاد، ص ٤٣-٥٢.عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص ٥٨-٥٩.
(٣) البكري: المغرب، ص ١٣٠.
(٤) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص ٥٨.
(٥) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١١٠. وانظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١/ ٤٤٠-٤٤١.محمد بن تاويت: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ١/ ٢٦.

أهم نتائج البحث:

يَخلُصُ البحثُ- من خلال ما سبق- إلى عدةِ نتائجَ مهمةٍ من الناحيتين السياسية والحضارية، نَعرضها فيما يلي:

أولاً: من الناحية السياسية:

١. البصرة المغربية إحدى المدن الإدريسية الكبيرة والمهمة بالمغرب الأقصى، وقد سميت بهذا الاسم-في الغالب- تذكيرًا بالبصرة العراقية الموطن الأصلي لإدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب.

٢. مؤسس البصرة المغربية هو الأمير محمد بن إدريس، وقد بناها في شمال المغرب الأقصى في أواخر عهد أبيه إدريس بن إدريس (إدريس الأصغر).

٣. كانت مدينة البصرة من نصيب القاسم بن إدريس، حيث منحها له أخوه الأكبر محمد بن إدريس عندما قام بتقسيم المدن أو الولايات بين إخوته- بعد وفاة أبيه إدريس الأصغر- بإشارة جدته كنزة، ثم حكمها بنوه من بعده.

٤. في سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١م خضعت مدينة البصرة المغربية لحكم العُبيديين الشيعة بعد سيطرة مصالة بن حبوس المكناسي قائد عُبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢ هـ/ ٩٠٩-٩٣٣ م) على إقليم المغرب الأقصى في حملته الثانية، وعيَّن عليها واليًا من قبله .

٥. فيسنة ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ عادت البصرة المغربية لحكم الأدارسة، حيث استردها الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس الثاني المعروف بالحجَّام، وظلت تحت حكمه حتى وفاته سنة ٣١٣ هـ/ ٩٢٥ م.

٦. وبعد وفاته وقعت البصرة تحت حكم موسى بن أبي العافية المكناسي، وظلت تحت حكمه إلى أن استعادها الأدارسة بمساعدة العبيديين.

٧. في عهدي أبي العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس وأخيه الحسن بن القاسم كنون تحولت البصرة إلى حاضرة للأدارسة وقاعدة لما تبقى من سلطانهم في المغرب الأقصى في دولتهم الثانية ببلاد الريف في شمال المغرب.

٨. خضعت البصرة المغربية رسميًا لحكم الأمويين بالأندلس منذ سنة ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م على يدي القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري، وكان الأمويون يولون عليها واليًا من قبلهم.

٩. في سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م منح الأمويون حكم المغرب الأقصى كله للقائد جعفر بن عليّ بن حمدون بن الأندلسي وأخيه يحيي، ومنه مدينة البصرة المغربية.

١٠. ما لبث يحيي بن علي أن خرج على سلطان أخيه جعفر ونازعه المُلك، واقتطع مدينة البصرة وما وراءها لنفسه، وجعلها قاعدة له، وانضم إليه أكثر الرجال، وعُرف منذ ذلك الوقت باسم: (صاحب البصرة).

١١. في سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨ م دخل بلكين بن زيزي بن مناد الصنهاجي مدينة البصرة وأمر بهدمها، ونَهَبَ ما كان فيها من الأموال والأمتعة وجميع الأسباب، فاستحالت الجيوش والأمم عليها هدمًا ونهبًا وتخريبًا، فصارت كأن لم تغن بالأمس.

ثانيًا: من الناحية الحضارية:

١. تميزت مدينة البصرة بالعديد من المعالم الحضارية المهمة، مثل جامعها وحماماتها ومقبرتيها، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي المتميز.

٢. تمتعت البصرة بأهمية اقتصادية كبيرة؛ نظرًا لما كانت تتميز به من عوامل طبيعية وموقع متفرد جعلها تحظى بتلك الأهمية، فتميزت بوفرة منتجاتها الزراعية المتنوعة، وكذلك الثروة الحيوانية الهائلة، بسبب اتساع مراعيها وخصوبة أراضيها.

٣. شكلت البصرة المغربية إحدى طرق التجارة الداخلية الرئيسة بين مدن إقليم المغرب الأقصى، كما كانت أيضًا واحدًا من أهم طرق التجارة الخارجية، ومركزًا مهمًّا وأساسيًّا من المراكز التجارية الداخلية المهمة بالمغرب الأقصى، حيث كانت تعدمنأبرز مدن هذا الإقليم.

٤. كانت مدينة البصرة المغربية إحدى أهم مدن المغرب الأقصى التي أسهمت في رواج التبادل التجاري الداخلي؛ بسبب ثرائها الاقتصادي وثرواتها المختلفة ووفرة منتجاتها المحلية التي كانت تفيض عن حاجتها، فتُصدَّر إلى المدن الأخرى.

٥. كان أهل البصرة يعتمدون في معاشهم وتحصيل أرزاقهم على ممارسة التجارة بنوعيها البري والبحري، وعُرِفت مدينتهم بأسماء متعددة، نظرًا لنشاطها التجاري الواسع والمتميز.

٦. كان أهل مدينة البصرة يميلون إلى الموادعة والسلامة، ويتميزون بالعلم وكثرة المعروف، ويُعرفون بالطول الفارع وحسن الهيئة، ويختص نساؤهم بالجمال الفائق والحسن الرائق، وليس في بلاد المغرب أجمل منهن.

٧. نُسب إلى مدينة البصرة عددٌ من كبار العلماء في تخصصات مختلفة، مما يشهد بازدهار الحركة العلمية والثقافية فيها، كما كان حكامها يعملون على جلب الشعراء إلى بلاطهم مما أدى إلى رواج الحركة الأدبية أيضًا.

* *

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

*-ابن الأبّار(أبو بكر محمد بن عبد الله، ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م):

- الحلة السيراء-(جزءان بتحقيق: د. حسين مؤنس)-دار المعارف - القاهرة - سلسلة ذخائر العرب ٥٨- ط ٢ - ١٩٨٥ م.

*-ابن الأثير(عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م):

-الكامل في التاريخ- راجعه وصححه: د. محمد يوسف الدقاق- دار الكتب العلمية- بيروت- ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

*-الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد، ق ٦ هـ/ ١٢ م):

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق-مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

*-الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، ت على الأرجح حوالي سنة ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م):

- مسالك الممالك- طبعة ليدن، ١٩٢٧ م.

*-البكري(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م):

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- د.ت.

*-الجاحظ (أبوعثمان عمرو بن بحر الكناني البصري، ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨ م):

-كتاب الحيوان- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر-ط ٢، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

***- الجزنائي(أبو الحسن علي الجزنائي، من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي):**
- جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس- تحقيق: عبد الوهاب بن منصور- المطبعة الملكية- الرباط- ط ٢، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م.

***-ابن حزم الظاهري(أبو محمد علي بن أحمد، ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م):**
- جمهرة أنساب العرب- تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون-دار المعارف- القاهرة- ط ٥- د.ت.

***-الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ م):**
- معجم البلدان – دار صادر – بيروت، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.

***-الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح، ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م):**
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- الدار المصرية للتأليف والترجمة- سلسلة المكتبة الأندلسية ٣- ١٩٦٦ م.

***-الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤ م):**
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب: الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر وتعليق: إ. ليفي بروفنسال – دار الجيل- بيروت – ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق: د. إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط٢، ١٩٨٤ م.

***-ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي النصيبي الموصلي، ت ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧ م):**
- صورة الأرض- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٩٩٢ م.

*-ابن حَيَّان القرطبي(أبو مروان حيان بن خلف، ت ٤٦٩ هـ/١٠٧٦ م):

- المقتبس- نشر: بدروشالميتا و ف. كورينطى، ومحمود صبح- منشورات المعهد العربي للثقافة بمدريد وكلية الآداب بالرباط، ١٩٧٩ م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- تحقيق: د. عبد الرحمن علي الحجي - نشر وتوزيع دار الثقافة- بيروت، ١٩٨٣ م.

*-ابن الخطيب(لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق: أ. محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجى- القاهرة- المجلد الثاني - ط١ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني- تحقيق وتعليق: أ. ليفي بروفنسال- دار المكشوف- بيروت- لبنان- ط ٢، ١٩٥٦ م.
- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط- القسم الثالث من كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق وتعليق: د. أحمد مختار العبادي وأ. محمد إبراهيم الكتاني- نشر وتوزيع دار الكتاب- الدار البيضاء- الرباط، ١٩٦٤ م.

*-ابن خَلْدُون(عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م):

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا- دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٧٩ م.
- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر-تحقيق: أ. خليل شحادة-مراجعة: د. سهيل ذكار-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

***-ابن خَلِّكَان(أبو العباس أحمد بن محمد، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢ م):**

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان-تحقيق: د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - د.ت.

***-الدباغ(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، ت ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦م) وابن ناجي(أبو الفضل أبو القاسم عيسى التنوخي، ت ٨٣٩ هـ/ ١٤٣٥ م):**

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان- تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور- مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس- سلسلة من تراثنا الإسلامي (٨)- د. ت.

***-ابن أبي زرع الفاسي (أبو الحسن علي بن عبد الله، ق ٨ هـ/ ١٤ م):**

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط، ١٩٧٢ م.

***-ابن سعيد الأندلسي(أبو الحسن علي بن موسى، ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م):**

- كتاب الجغرافيا- حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي- منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت- ط ١، ١٩٧٠ م.

***-الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحي، ت ٥٩٩ هـ/ ١٢٠٢ م):**

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق: إبراهيم الإبياري- دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت-سلسلة المكتبة الأندلسية ١٤- ط ١، ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م.

***-ابن عبد الحق البغدادي(عبد المؤمن بن عبد الحق، ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م):**

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت- ط ١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

***-ابن عِذَارى المَرَّاكُشِي(أبو عبد الله محمد بن محمد، ت بعد ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م):**

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:

- الأجزاء الأول والثاني والثالث - تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان و أ. ليفيبروفنسال- الدار العربية للكتاب - بيروت - ط ٣، ١٩٨٣م.

***- العذري(أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس، ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م):**

- نصوص عن الأندلس من كتاب: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني- منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد- د.ت.

***- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد، ت ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م):**

- تاريخ علماء الأندلس- حققه وضبط نصه وعلق عليه: د. بشار عواد معروف-دار الغرب الإسلامي- تونس- سلسلة التراجم الأندلسية ١- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

***- ابن فضل الله العمري (أبو العباس أحمد بن يحيي، ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م):**

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- إصدار: فؤاد سزكين- معهد تاريخ العلوم-جامعة فرانكفورت-ألمانيا، ١٩٨٨ م.

***- ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، ت بفاس ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ م):**

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس- دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط، ١٩٧٣ م.

***-مؤلف مجهول:**

- ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول (الجزء الأول)-تحقيق وترجمة: لويس مولينا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- مدريد، ١٩٨٣ م.
- الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول-نشر وتعليق: د. سعد زغلول عبد الحميد- طباعة ونشر دار الشئون الثقافية العامة- بغداد- د.ت.
- مفاخر البربر لمؤلف مجهول- دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط ١، ٢٠٠٥ م.

***- المَقْدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م):**

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- مطبعة بريل- ليدن- ط ٢، ١٩٠٩ م- منشورات دار صادر- بيروت- د.ت.

***-المَقَّرى (أبو العباس أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣٢ م):**

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب -تحقيق: د. إحسان عباس- دار صادر - بيروت - ط ١، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.

***-ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م):**

- لسان العرب- دار صادر- بيروت- د.ت.

***-الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد):**

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- المغرب، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

* * *

ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة:

*-إبراهيم حركات:

- المغرب عبر التاريخ- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

*-د. أحمد مختار العبادي:

-دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-مؤسسة شباب الجامعة-الإسكندرية- د.ت.

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس- مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ م.

*-بوزياني الدراجي:

- دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- الجزائر، ٢٠٠٧ م.

*-د. حسن إبراهيم حسن:

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي- دار الجيل ببيروت ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة- ط ١٤، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م.

*-د. حسن علي حسن:

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين- مكتبة الخانجي- مصر- ط١، ١٩٨٠ م.

*-الحسن الوزان:

- وصف أفريقيا- ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط ٢، ١٩٨٣ م.

*-د. سعد زغلول عبد الحميد:

- تاريخ المغرب العربي- منشأة المعارف بالإسكندرية- د.ت.

***-د. سعدون عباس نصر الله:**

- دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي (١٧٢-٢٢٣ هـ/ ٧٨٨-٨٣٥ م)- دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت- ط ١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

***-د. السيد عبد العزيز سالم:**

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي- مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، ١٩٩٧ م.

***-عادل نويهض:**

- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت- ط ٢ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

***-عبد الرحمن بن زيدان:**

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس- تحقيق: د. علي عمر- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

***-عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري:**

- دليل مؤرخ المغرب الأقصى-ضبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكـــر للطباعة والنشر والتوزيـــع- بيروت- ط ١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

***-عبد الله كنون:**

- النبوغ المغربي في الأدب العربي-دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر- مكتبة المدرسة- بيروت - ط ٢، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م.

***-د. عبد الله محمد جمال الدين:**

- الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش- دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

***-د. عبد الهادي التازي:**

- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (المجلد الرابع: الدولة الإدريسية)-منشورات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

***-ليفي بروفنسال:**

- نخب تأريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى- مطبوعات لاروز- باريس، ١٩٤٨ م.

***- مبارك بن محمد الميلي:**

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث- تقديم وتصحيح: محمد الميلي- المؤسسة الوطنية للكتاب- د.ت.

***- محمد بن تاويت:**

- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى- دار الثقافة- الدار البيضاء- ط ١، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

***- محمد جعفر الكتاني:**

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس- حققها ووضع فهارسها حفيد المؤلف: د. الشريف محمد حمزة علي الكتاني-سلسلة الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (٤)- دون مكان للنشر- د.ت.

***- محمد بن رمضان شاوس:**

- الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي- المطبعة العلوية بمستغانم- الجزائر- ط ١، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م.

*- د. محمد عيسى الحريري:

-الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (١٦٠-٢٩٦ هـ)-دار القلم للنشر والتوزيع- الكويت- ط ٢ مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

*- محمد المختار السوسي:

- إيليغ قديمًا وحديثًا- هيأه للطبع وعلق عليه: محمد بن عبد الله الروداني- المطبعة الملكية بالرباط، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

*- د. محمود إسماعيل:

- الأدارسة (١٧٢-٣٧٥ هـ) حقائق جديدة- مكتبة مدبولي- القاهرة- ط ١، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م.

*- المريني العياشي:

- الفهرس في عمود نسب الأدارسة- مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال- طنجة- ط ١، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦ م.

*-موريس لومبارد:

- الإسلامفيفجرعظمته- ترجمة: حسين العودات- منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، ١٩٧٩ م.

ثالثًا: الدوريات:

*د. أحمد مختار العبادي:

-"سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس"- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد-المجلد الخامس- العدد (١-٢)، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.

*د. صباح إبراهيم الشيخلي:

- "النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن ٤ هـ/ ١٠ م: دراسة من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل"- مجلة التاريخ العربي- العدد (٦)- ١٤١٩ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ٢٣-٦٢.

* * *